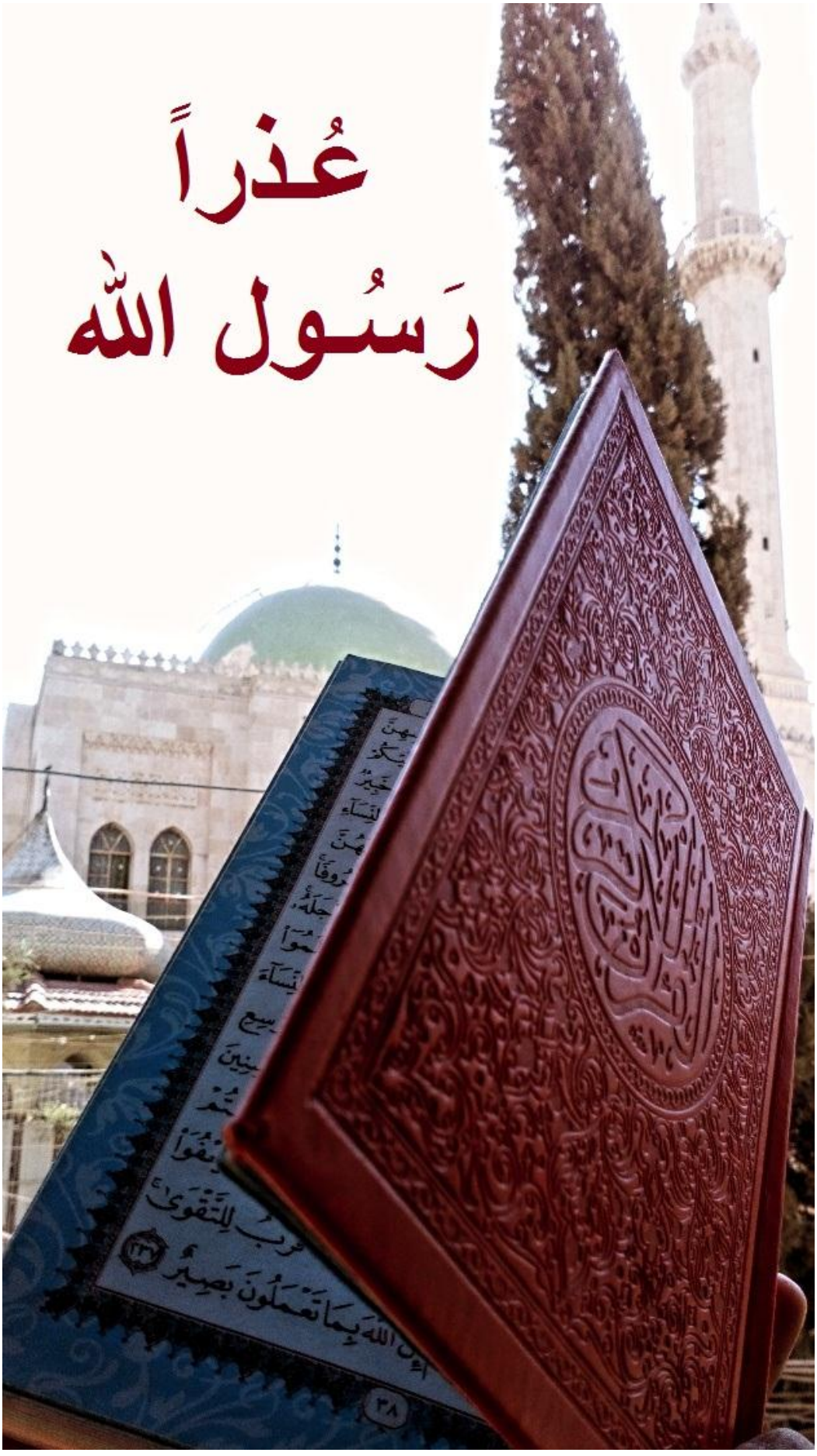
عُذراً
رَسُول الله

عُـذراً ...

رَسُـول اللّٰه

د. شيرين قبرطاي

مُقدِّمة

هذا الكتاب البسيط هو حصيلة جملة من المشاعر والمواقف والتجارب الشخصية التي قد يختبرها العديد ممن عرفوا طريق الله بعد طول غفلةٍ وضياع.. هو كتاب خواطر أظنها إيجابية أحببت أن أشارككم بثَّها بلغةٍ بسيطة خرجت من القلب قبل العقل.. وآمل أن تصل إلى قلوب الكثيرين ممن يشبهوني في تجربتهم مع الهداية.. ومن منطلق حديث حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ (بلِّغُوا عنِّي ولو آية).. أحببتُ أن أستعرضَ بعض الآيات والأحاديث وأقوال الصالحين التي أثَّرت في نفسي وكانت دافعاً قوياً لتغيير اتجاه دفة حياتي وجنَّبتها جبل الجليد الذي كادَ أن يطيح بها.. لعلها تُحدِثُ ذات الأثر الطيّب وتقع في قلوبكم موقعاً حسناً فتؤتي ثمارها كما أنعم الله عليّ.

أردتُ أن أنقل لكم بعضاً مما قرأت وكان له عظيم الأثر في نفسي وروحي.. عسى أن ينفعكم به الله تعالى كما نفعني..

أحببتُ أن يكون شيئاً لله.. ولِحُبِّ رسول الله ﷺ.. بعد التطاولات الوقحة على شخص رسولنا الكريم ﷺ.. وبعد عجزي كفرد وعجزنا كأمَّة عن الردّ بمستوى فداحة الإساءة.. أردت أن أفضفض عبر هذه الصفحات وأعبِّر عن محبتي وتقديري لسيِّدي محمد ﷺ لعلَّها تشفع بعضاً من عجزي.. وتكون بمثابة اعتذار عن قلَّة حيلتي..

(من رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده.. فإن لم يستطع فبلسانه.. فإن لم يستطع فبقلبه.. وذلك أضعف الإيمان)..

عسى أن يستطيع قلمي الذي هو لسان حالي أن يلبِّي شيئاً من الفزعة للذودِ عن شخص سيِّدي الرسول ﷺ..

وإذا كانت الهداية ولادةً جديدة فإن هذا الكُتاب هو لحديثي الولادة.. حديثي الهداية.. أمثالي.. فيه عُصارة طيِّبات ما وفَّقني الله إلى معرفته وفهمه.. وألهَمَني بعد ذلك سردَهُ..

وأتمنى ممن قرأه وتنَّبه إلى أي خطأ مطبعي أو غيره وأراد التصويب مراسلتي على البريد الإلكتروني sh1adiga@hotmail.com

نسأل الله لنا جميعاً القبول والهداية والصلاح والفلاح والثبات.. والنجاة من الغفلة.. نسأل الله السلامة في كل شأن وأمر..

والصلاة والسلام على سيِّدنا مُحمَّد.. والحمد لله ربّ العالمين.. ربّ التوّابين..

السلامُ عليكم

سيِّدي الرسول ... **مُحمَّد بن عبد الله** .. عليك أفضل الصلاة والسلام.

أنا أَمَة الله والفقيرة إليه..... ممن آمنوا بك ولم يرَوك.. ممن اكتشفوا مؤخراً ومتأخراً أنك أغلى مما كانوا يعتقدون.. ويحاولون الآن حرق المراحل الزمنية "إن أسعفهم العمر" لتعويض فاقد الحب الذي غفلوا عنه فحُرِمُوا منه فيما مضى من سنوات الجاهلية أو لنقل نصف جاهلية "كما نرجوا"..

أعيش الآن في فترة الـ 2020 – 2021 ميلادية.. التي توافق 1441 - 1442 لهجرتك العظيمة.

أزعمُ أنني أجيدُ الكتابة وفي طريقي إلى امتهانها.. وكنت بصدد كتابة روايتي الثالثة عندما استوقفتني فكرة التقصير في محبتك.. وفي التعبير عن محبتك.. وهل أحقّ منك أن يتصدَّر اهتماماتنا ويعطّر صفحاتنا؟ بل وقلوبنا أولاً!

لعلَّه الرئيس.. بل "التعيس" الفرنسي ماكرون.. وحماقاته المريضة في استفزاز مشاعرنا كمسلمين.. عندما تجرأ على شخصك العظيم.. فكانت الضارَّة النافعة.. ولعلنا لا نتحسَّسُ قيمة من في قلوبنا وحجم محبتنا لهم إلا عندما يُغتابون تعسُفيَّاً وبدون وجه حق.. فنرى كيان المحبة وقد انتفض من قزمٍ مُنكفئ غافٍ إلى ماردٍ شرسٍ جريح.. لتقوم قيامتنا غيرةً على الأَحبَّة.. وأيُّ أحبة؟ سيِّد الأحبّة.. وحبيبهم..

اجتاحت مواقعَ التواصل الاجتماعي موجة تتبنى وسم "إلاّ رسول الله" تعبيراً عن مشاعر الغضب والاستنكار للإساءة المجانية غير المُبررة..

"إلاّ رسول الله".. لكن من هو رسول الله ﷺ.. المُستثنى من الإساءة والتطاول؟ هل نقتدي كما نزعم أننا نفتدي؟ هل نشبهه ولو

قليلاً أو نتشبَّه بخُلقه؟ ماذا نعرف عنه؟ عن تفاصيل حياته التي قد تشكل مفاصل دعم أساسية لحياتنا لو تدارسناها.. حتى نحن معشر المثقفين والمتعلمين "ولا فخر".. ماذا نعرف عمّن ننبري للدفاع عنه إلكترونياً بسرعة 4 ميغا بايت في الثانية... ويال عنتريتنا وقوتنا "الافتراضية" والافتراضية فقط!

سأوجز بعض المعلومات عن حياتي ومراحلها.. وسأسقط منها قرابة التسعة وثلاثين عاماً.. لا أعتبرها ذات شأن.. بل وأخشى أن تكون هباءً منثوراً..

كنتُ حتى الأربعين غافلة.. مُشتَّتة.. تتلقفني أفكارٌ متداخلة.. بالرغم من امتلاكي رصيد إيمانٍ وحبٍّ للعبادة لا يُستهان بهما.. لكنه كان رصيداً مُجمَّداً لم تباركه الاستثمارات الربحية الروحية بعد..

وبعد الأربعين حدثَ أن اتَّقدت وبطريقةٍ ما شرارة حبٍّ في قلبي لله عزّ وجلّ ولكل من يحبون الله.. ربما هي خبيئةٌ أغفل عنها ولا أذكرها.. أو عملٌ صالحٌ استصغرته فكان كبيراً عند ربي.. أو ذنبٌ تبتُ عنه وعزمت على تعويض تقصيري في حق طاعتي لله!

لا أعلم أي حسنة منحتني رخصة الدخول إلى بوابة السعادة الإيمانية تلك.. لكنه حَدث.. واستحالت الدنيا في قلبي إلى مسجدٍ وقبلة وعينين شاخصتين مرفوعتين إلى السماء قبل الكفَّين.. وكأنني للمرة الأولى أشاهد السماء واستشعر عظمة عرش الرحمن فوقها بهذا القدر.. وكأنني للمرة الأولى أرفع كفيَّ تضرعاً فتُسكب فيهما كل طمأنينة الدنيا..

فاتني أن أذكر أنني وبفضل الله أحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة المدنية باختصاص الهندسة البيئية.. ولطالما انتشيتُ بلقب الدكتورة المهندسة.. غير أن تلك الدَكْتَرة ومعها الهندسة تقزَّمت عندما قُدِّرَ لي حضور حفلة في بيت إحدى صديقاتي المُلتزمات دينياً.. كان فيها تكريمٌ لصبيَّة تدعى حنان.. لإتمامها حفظ القرآن وحصولها على

إجازة بذلك.. شهادة لحفظها كلام الله عن ظهر قلب.. شهادة "كتاب الله".. ما ينيف على الستمائة صفحة بكلماتها وحركتاها وسكناتها وأحكام تجويدها.. دون زللٍ أو خطأ.. تسمَّرتُ يومها بعيداً عند عتبة باب الغرفة أراقبُ بخجلٍ فرحتها واعتزازها وأندبُ خيبة بوصلة أولوياتي!

صحيحٌ أن علوم الدنيا من طبّ وهندسة وفيزياء وكيمياء ورياضيات.. إلخ.. مُهمة وأساسية ولا غنى عنها.. لكن تسبقها علوم الدنيا والآخرة.. تسبقها الحكمة.. التي رأسها مخافة الله.. كيف أتمكن من كتب العباد وأقلِّبها مِراراً وأحوز شهادات في سرد معلوماتها.. قبل أن أتدبَّر وأتفكَّر في كتاب ربّ هؤلاء العباد!

يقول ابن عطاء السكندري في حكمه العطائية "خير العلم ما كانت الخشية معه.. والعلم إن قارنته الخشية فلَكَ وإلا فعليك"..

لقد عرفت حنان "بارك الله لها" من أين تُؤكل الكتف.. وانشغلت أنا بما دون ذلك !!!

فَضفَضة

قد يُفتَحُ بابُ الهداية بأبسط الخطوات.. على نحوٍ لم تكن تتوقعه.. ربما تقع عينك على كتاب أو مجلة على طاولة غرفة الانتظار في عيادة طبيب.. فتلفِتكَ جملة أو حادثة تقرأ عنها وتستقر في وجدانك وعقلك الباطن لتشغله فتجرّكَ لاحقاً لفتح تحقيقٍ كاملٍ في الأمر ويضعك هامش انتظارك على جادَّة الصواب دون تخطيط..

أو ربما في انتظارك لطعام الغداء وأنت تَصَبِّرُ معدتك وتتحايل عليها لتحمُّلِ مُتسعٍ من الوقت ريثما يتم إعداد الغداء.. تتلقف جهاز التحكم وتتجوَّل بين قنوات التلفاز عشوائياً بتململٍ وضجر فتستوقفك بشكلٍ غير مقصود لقطة من لقاء مع أحد الدُعاة ويصادف أن يتحدث في أمور تضرب على وتر ما من أوتار قلبك وروحك فتغريك للغوص في ثناياها.. وتكون كما يقال بالعامية "الصلحة بلمحة"..

لكن.. الصلحة مع من؟ مع الخالق؟.. القادر؟.. المهيمن؟.. الحليم؟.. الذي لو شاء مَحاك وأتى بغيرك.. والعياذ بالله من أن يكون هناك جفاء يستوجب الصلح مع أرحم الراحمين.. لكن لنَقُل هناك غفلة.. سهوة.. كبوة.. قد تُبعدك دون وعي مؤقتاً عنه وتحرفك عن سكة الصلاح والفلاح.. وقد تكون العودة إلى الله بعد فاجعة أو مصاب سوء والعياذ بالله يردُّ المرءَ إلى رُشده قسراً.. نسأل الله السلامة.. اللهم ردَّنا إليك ردَّاً جميلاً.. اللهم اجعلنا عباد إحسان وقيدنا بسلاسل الامتنان..

أنا شخصياً استشعرت البداية.. واهتديت إلى حقيقة ضلالتي من مشهد تكريم حنان.. "حافظة القرآن".. أكرَمَها الله.. وغالباً ما تُستَشعَرُ الضلالةُ من الهداية.. تعلم كم كنتَ ضالاً إلى أن هَدى.. فالأشياء بأضدادها تُعرَف..

كما لو هَمَمْنا بورشة تنظيفٍ لجدران بيتٍ مهجور.. ما أن ننهي أول جدار حتى نشعر بفداحة اتساخ الباقي.. فيما أننا سابقاً كنا نتقبَّلُ لون الجدران ولا نستهجن اتساخها بهذا القدر.. غير أن الصحوة لتحدث.. لا بد لها من غفلة!

كانت هذه أولى خطوات السير في طريق الله.. وربما كان لصدق رغبتي باستصلاح تربة نفسي وشقّ قنوات سقايتها بذكر الله.. بل وشدَّة حسرتي على ما مضى من التقصير والبعد.. الأثر الأكبر في تلقف إشارات العون والمَدَد من الهادي المُعين حينها..

حدث أن انشغلت بضعة أشهرٍ في مسألة شخصية يترتب عليها اتخاذ قرار بالرفض أو الإيجاب.. هل أخوض في هذا الأمر أم لا.. مررتُ بفترة تردد ومدٍّ وجذر.. بين نعم ولا.. لا ونعم.. ودفعني تخبُّطي هذا إلى الهروب كل يومٍ مساءاً أتمشى قبيل المغرب وعيناي صوب السماء.. أدعو ربي أن يلهمني القرار الصائب بعد الاستخارة والاستشارة.. فكانت صيغة دعائي أن يهديَني الله سبيل الرشاد.. وكنت أقصد المعنى التقليدي المحدود للرشاد.. أن يُرشدني الله إلى قرار لا أندم بعده فيما يتعلق بتلك المسألة على وجه الخصوص..

لكنني أظن أن الله أكرمني بأكثر من ذلك.. ودون أن أعي معنى دعائي وحجم أهمية ما يُضمر بين طيَّاته.. أكرمني الله بإجابة تفوق سُؤْلي وتفوق ما كنت أصبو إليه..

فهمت لاحقاً معنى الرشاد الذي سألت الله أن يرزقني إياه.. عندما سمعت بتدبُّرٍ ما تيَّسر لي من سورة الحجرات:

{ولكن الله حبَّبَ إليكم الإيمان وزيَّنهُ في قلوبكم وكرَّهَ إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم}. سورة الحجرات

إذاً .. فـ ... "أولئك هم الراشدون"؟..

مَنْ مَنَّ الله عليهم بحبِّ الطاعات والتعلّق بها والنفور تلقائياً من الفسق والمعاصي.. وهي حقاً منّة لا فضلَ للعبد فيها.. فليس للعبد إلا الرغبة وصدق النية والتوبة النصوح.. والمباشرة بإظهار حسن السلوك.. وأن يبادر.. والله أعلم..

خلال تصفحي كتاب الحكم العطائية.. "وهو أيضاً شكل من أشكال الهداية القدرية" استوقفتني حكمة بالغة الأهمية..

"الخذلان كل الخذلان.. أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه.. وتقلّ عوائقك.. ثم لا ترحل إليه"..

وقرأت فيه أيضاً.. "إذا أردت أن تعرف قدرك عنده.. فانظر في ماذا يقيمك"..

وقد روي عن النبي ﷺ.. أنه (من كان يحبُّ أن يعلم منزلته عند الله.. فلينظر كيف منزلة الله عنده.. فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه)..

يقول الفضيل بن عياض: "إنما يطيع العبدُ ربَه على قدر منزلته منه".

وقد ورد في سورة الليل: {فأما من أعطى واتقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسره للعسرى}. سورة الليل

وَوردَ في حديث الرسول ﷺ: (إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ.. وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ.. فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ.. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْه)..

قد يتبادر إلى ذهن أحدنا من منطلق أن الإنسان مُسيّر لا مُخيّر.. أنه طالما أن الأمر مَبتوتٌ فيه وأن الله هو الذي يخلق عباداً للخير وعباداً للشر.. فعلامَ التعب وعلامَ نتسابق في السعي!

لكنني أظن والله أعلم أن الإنسان مُسيّر باختياره.. بمعنى أنني إذا كنت أريد أن أكون مُسيّراً من فئة "طوبى" وأتوسم أن يكون سيناريو حياتي المُعدّ مسبقاً لي للخير فعلّي أن أعدّ لنفسي كواليس الخير هذه وأسعى سَعيها.. والمُحبُّ القاصد لا يعدم الوسائل..

أتعشَّم أنني في عداد من سيُيَسرهم الله لليسرى بأمره.. فآخذ بأسباب ذلك وإن كنت أجهل مبدئياً الآلية والنتائج وكيفيتها.. لكنني أعلم علم اليقين أن العطاء والتصدّق يفتحان باباً ما لليُسر.. ولا أشدّ حلاوة من تيسير الهداية وأسبابها كما اختبرت.. وكما أظن أنني ممن ذاقوا حلاوتها بفضلٍ ومنّة من الله تعالى.. فإذا أردتَ أن تكون "مُسيراً" في فئة الأخيار فعليك "اختيار" مُقدمات هذا التسيير وما يليق بها.. والعمل بموجبها.. وترك الأمر لله بعد الاتكال.

من جهة أخرى.. فإن حكمة الخذلان التي وردت في كتاب ابن عطاء.. خطيرة ومُخيفة.. وكما قال سيدي الرسول ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).. وجاء في شرح هذا الحديث للشيخ ابن باز:

"كثيرٌ من الناس تضيعُ صحته بغير فائدة.. وفراغه في غير فائدة.. صحيح الجسم معافى في بدنه وعنده فراغ ولكن لا يستعمل ذلك فيما ينفعه.. وفيما يقرِّبه من الله.. وفيما ينفعه في الدنيا.. فهذا مغبون في هاتين النعمتين.. وإنما ينبغي للمؤمن أن يستغل هذه النعمة فيما يرضي الله.. وفيما ينفعه.. في التجارة وأنواع الكسب الحلال والاستكثار من الصوم والصلاة.. والذكر والطاعات.. وعيادة المرضى.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ إلى غير هذا من وجوه الخير.. فالمؤمن يشغلهما بما يرضي الله وبما ينفعه في دنياه من الحلال.. فإذا ترك هاتين النعمتين لم يستعملهما فيما ينفعه فقد غُبن.. وهذا الغبن قد يكون محرماً وقد يكون لا يضرّه.. فإذا لم يستعملها في معاصي الله وأدَّى الواجب لم يضرّه هذا الغُبن.. أما إذا كانت الصحة مستعملة في معاصي الله ضرّه

ذلك.. أو الفراغ مستعمل في معاصي الله ضرّه ذلك.. أما إذا كان لم يستعمل ذلك في معاصي الله.. ولكن لم يستكثر من الحسنات المستحبة.. ولم يستعمل هذا الفراغ والصحة فيما ينفعه في الدنيا.. ولكنه عنده ما يقوم بحاله ويقوم بحال عائلته.. ليس مضطراً إلى الكسب ونحو ذلك.. فإن هذا لا يضرّه.. لكنه نوع من الغُبن.. لو استعمل الصحة فيما ينفعه من الذكر وأنواع الطاعات المشروعة.. وفي المكاسب الحلال الطيبة يتصدق منها ويحسن لكان خيراً له".

أنا لا أريد وقتاً فقط.. إنما أريد البركة في الوقت.. ولا أريد صحة فقط.. وإنما أريد بركة في الصحة.. بركة استثمار الوقت والصحة بالتقرب من الله.. بركة الشكر الذي هو نسب النعمة إلى الله واستعمالها في رضاه..

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال سبعاً.. هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً.. أو غنى مُطغياً.. أو مرضاً مفسداً.. أو هرماً مفنداً.. أو موتاً مجهزاً.. أو الدجال فشرّ غائب ينتظر.. أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ).

ويشير الحديث إلى أهم الشواغل التي تصرف العبد عن الخير والطاعة.. حتى يحذرها ويُقبِل على ما ينفعه.. وضرورة اغتنام أوقات الصحة والفراغ وقلة الفتن والشواغل في تكثير الطاعات وأعمال الخير.

أدهشني ذات مرة ما قرأت عن علوِّ همّة العلماء من السلف الصالح وتثمينهم للوقت.. وحرصهم على استثماره.. فقد ورد عن العلامة المعروف ابن عقيل الحنبلي رحمه الله.. صاحب كتاب الفنون الذي قُدر بثمانمائة مجلد: "إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري.. حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة.. وبصري عن مطالعةٍ.. أعملتُ فكري في حال راحتي.. وأنا مستطرح.. فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره.. وإني لأجدُ من حرصي على العلم.. وأنا في

عشر الثمانين أشد مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة".. ويقال أنه ما كان يأكل شيئاً يُمضغ.. فكان يفضِّلُ سفَّ الكعك.. لأنه ما يحتاج إلى مضغ.. حتى لا يضيع وقته بسبب الأكل..

لا أريد التفكير حتى في مقارنة مُضحكة بين ما نحن فيه من هدرٍ واستنزافٍ للوقت والطاقات الروحية وانشغال بفائدة أو بدون فائدة بأنماط مواقع التواصل الاجتماعي.. وبين أهل العلم وتقديرهم للدقائق قبل الساعات.. ألسنا من نفس الطبيعة البشرية؟

أنا يا رسول الله ممن أنعم الله عليهم بالصحة وسعة الوقت.. ما شاء الله لا قوة إلا بالله.. ومع ذلك أدركتُ متأخراً أن عليّ استغلال هذه البضاعة في تجارة رابحة قبل كسادها وفسادها.. لكن أن تصل متأخراً خير من ألاّ تصل.. وإزاحة الغشاوة هي أولى خطوات السير على نور.. والعبرة بالخواتيم..

تَرَهُّلاتُ قلب

مع التقدُّم في العمر.. يستشعرُ المرء أثر السنوات على ملامحه.. يراقبها بتوجسٍ وهي تخطُّ إمضاءاتها على تقاسيم وجهه.. وتترك بصماتها في هشاشة عظامه وضعف بصره.. لكن الأهم من كل هذا ما يصيب القلب من ترهُّلاتٍ يصعب تسويتها وإصلاحها.. والأهم من سلامة البصر.. سلامة البصيرة..

كنت أحتفل وبحماسة كبيرة كل عام بعيد ميلادي وأعتبره أهم يوم في السنة.. إلى أن سمعت تعليقاً من إحدى المعلمات رنَّ في أذنيَّ فاستقر ولم يخرج.. "علامَ الاحتفال؟ هل من إنجاز هذا العام تُدرجونه في السيرة الذاتية لأعمالكم وطاعاتكم التي ستقدمونها بين يديِّ الله فيتقررُ على أساسها مقامكم عنده؟ ماذا أضفتم خلال الثلاثمائة وستين يوماً الماضين؟ أم تفرحون بِدنوِّكُم من الأجل هكذا عاماً جديداً دون زاد**!**"

إن كان مَغبونٌ من تساوى يومه مع أمسه دون أن يفوقه بما يرضي الله.. فما بالكم بمَن تساوى - في أحسن الأحوال - عامه الحالي بالكامل مع عامه السابق**!!**.

نرصف مع العمر عاماً تلوَ عام يقرِّبنا من نهاية مرحلة الدنيا وبداية مرحلة البرزخ.. أعوام متشابهة برتابتها.. وكأننا ندور في حلقةٍ مُفرغة.. تشبه بدايتها نهايتها.. وليس هذا أقصى ما أتمناه.. لطالما أردت الأفضل حتى ولو لم أنله.. لكنني أردتُ الأفضل.. وليس أجدى من أن تطلب الأفضل في علاقتك مع الله.. "المُهيمن" .. "وكم أحبُّ هذا الاسم من أسمائه جلَّ وعلا".. لتكون هذه الأفضلية مفتاحاً لكل ما دونها من عطايا وتفاصيل أخرى..

فلتكن الأولوية دائماً لأفضلية علاقتنا مع الله.. "المهيمن".. من بيده الأمر كله.. وكل شيء تحت هيمنته.. وانتهينا..

منذ ذلك الحين تغيرت نظرتي إلى يوم ميلادي.. ازدادت أهميته لكن كمفصلٍ زمني يحدُّ بين سنةٍ وأخرى أراجع فيه سطور صحيفتي.. ليكون يوماً أجرد فيه حسابات العام من حسنات وسيئات على قدر استطاعتي ومَدَاركي..

ما جعلني أحرص خلال الأعوام القليلة الماضية على الاحتفاظ بصورة عن التقويم السنوي على رأس كل عام.. تقويم ميلادي عادي "لأننا بطبيعة الحال معتادون عليه ونتداوله أكثر".. اثني عشر شهراً بأيامها.. أرصدُ فيها كل يوم فوائت عباداتي لأتمكن من تقدير حجم غفلتي هذا العام وبالمُقابل أوثِّق أيضاً ما استطعت أن أتحسنَ فيه.. كنت أضع على صورة التقويم رموزاً وإشارات انتقيتها كمفاتيح الخرائط التي تُشرح فيها دلالات الخريطة على الهامش..

إشارة مُعيَّن برتقالي مثلاً على اليوم الذي أصوم فيه.. دائرة حمراء على أي فرض صلاة أفوِّتها وأقضيها فيما عدا الفجر.. مربعاً أحمر على كل يوم أفوِّتُ فيه صلاة الفجر وأصليها قضاءً على اعتبار أن صلاة الفجر لها خصوصية في احتمال تفويتها عن غيرها من الأوقات.. فتفويت صلاة الفجر قد يحدث كثيراً "سامَحَنا الله".. أما تفويت الظهر أو المغرب مثلاً فهو أمر نادر.. وفي كلٍّ تقصير..

وضعتُ مثلثاً بنفسجياً على يوم التهجُّد.. قلباً أخضراً على توبة جديدة.. ونجمة على اليوم الذهبي الذي حققت فيه الصيام والتهجد وأداء الصلوات على وقتها وقراءة جزء من القرآن الكريم وعمل خير ما أقوم به خلال هذا اليوم!

صرت أراقب عباداتي يوماً بيوم.. فأصل إلى نهاية العام وعندي جردٌ كاملٌ وصورة شاملة للوضع.. فمثلاً "وكما في صورة النموذج المرفق في هذا الفصل".. ثلاثة وأربعون معيناً برتقالياً.. خمس دوائر

حمراء.. أربعون مربعاً أحمراً.. سبعة عشر مثلثاً بنفسجياً.. قلبان أخضران.. ونجمة.. تعني صيام ثلاثة وأربعين يوماً.. فوات خمس صلوات من غير الفجر وتسجيلها قضاءً.. قضاء أربعين صلاة فجر.. تهجد سبعة عشر يوم.. توبتان.. ويوم ذهبي..

قد يبدو الأمر غريباً وصعباً.. لكن بالتجربة والممارسة ستتفهمون طبيعية وسلاسة ذلك.. خاصة بوجود التكنولوجيا.. أصبح الأمر يتم بلمسة شاشة.. لن يتطلب تفرغاً ولن يأخذ من وقتي الكثير وضع إشارات يومية على صورة التقويم في جهاز الموبايل.. إشارات مراقبة تعمل كمرآة لالتزامي.. فأخرج من العام وأنا على دراية وتقدير تقريبي بمدى تحسني في بعض الطاعات أو تراجعي "لا سمح الله" في بعضها الآخر.. ولكم أن تضيفوا لها إشاراتكم الدالَّة على اعتباراتٍ أخرى خاصة بكم وبنمط عباداتكم وعلاقتكم مع الله تعالى..

هذه المتابعة والرقابة الذاتية تضعك مباشرة قبالة تقصيرك.. وأنت تحصي عدد ما فات بالأرقام والتوثيق اليومي.. حتى لا تظن أنك بطل في العبادات والطاعات فيغريك التقاعس.. وتغترَّ بتحسنٍ بسيطٍ تضعه تحت المجهر لتضخيمه أمام تراجعٍ أكبر تخفيه تحت المخدَّة.. ينفعنا هذا التوثيق البسيط في السعي إلى تلافي التقصير وتحديد أبوابه ومواطنه.. ونعرف حجم أنفسنا فلا نتباهى وننتشي ويكبر مقاس عمامتنا بأداء صلاة الفجر على وقتها لشهر أو شهرين من العام.. أمام تفويتها في العشرة أشهر الباقية..

الطالب المُجدُّ يخرج من الامتحان فيحصي عدد أخطائه وتعتصر الحسرة قلبه على نصف علامة قد يخسرها.. أما الطالب الكسول فيخرج مُحصياً نسبة الصحيح من إجاباته لعلها تصل لحدّ النجاح غير آبهٍ بمعدل العلامات أو رفعة التقدير والتفوق بالمراتب..

المؤمن المُجدّ لا ينظر إلى صغر ذنبه.. ولكن إلى عظمة من عصى.. يستكبر قيمة الخسارة والتفريط على صغرها..

هناك من يحاصر تقصيره بنفسٍ لوَّامة.. وهناك من يركن إلى يسيرٍ من الطاعات قام بها فظن أن هذا اليسير يشفع عن تفويت الباقي الكثير..

من الجميل حسن الظن بالله والتماس رحمته.. لكننا يجب أن ننتبه إلى الفرق بين التراخي والتسويف في بذل ما نستطيع من جهد رزَقَنا اللهُ إياه لاستغلاله في حينه قبل فوات الأوان متكئين على أملنا في الرحمة والمغفرة المجانية.. وبين بذل الاستطاعة القصوى وتحصيل ما يُمَكّننا الله من تحصيله.. ثم يشملنا ويكلِّل جهدنا بإحسانٍ منه ورحمة.. بعد سَعي منَّا وشرف محاولة...

وثمة أمر آخر يتعلق بمضيّ عجلة السنوات.. واغتنام عافيتنا وقوَّتنا للتمتع بطقوس العبادات.. فأنت حين تواظب على أداء فروضك.. يحتاج الأمر في بدايته تَكلُّفاً ومُجاهدة.. ثم يصبح عادة تريحك ويؤرقك التفريط بها.. ثم يبدأ الشعور بسعادة الالتزام بها والخوف من حرمانها.. والفرق كبير بين أن تُحرَمَ قسراً من ممارسة عبادة ما.. وبين أن تختار أنت طواعيةً هجرها!

في سنِّ الشباب قد يستهين المرء بالتقصير في الاستزادة من الصلوات مثلاً.. أو في ربح صيام فرضٍ أو تطوُّع.. لكن مع العمر وعندما لا يقوى على السجود بسبب ألمٍ في الظهر أو في الركبتين.. أو لا يستطيع الصيام لحاجته إلى دواءٍ يواظب على تجرعه قسراً خلال فترات النهار.. أو لِعلَّةٍ ما في الكِلى "لا سمح الله".. هنا تصبح العبادة غالية.. ويصعب التفريط بها.. هنا نشعر بمرارة الحرمان.. تسلبنا السنين دون أن نَعي هدية لطالما ركناها جانباً ولم نفتحها حتى انتهت صلاحيتها فقلَّت بهجتها.. إحدى عطايا الله أن نستمتع بلحظة ملامسة جبيننا للأرض عند السجود في موضع هو أقرب ما يكون لربّ الساجدين.. طريق مُختصر مباشر تستطيع عبره أن تسأل الله وتناجيه.. وهو القريب المُجيب.. يأتي وقت نستشعر فيه الفارق الشاسع بين أن نصلي على سجادة على الأرض وبين الصلاة ونحن

جالسين على أريكةٍ أو كرسي.. كم فوَّتنا في شبابنا وقوَّتنا فرصاً من السعادة والاستمتاع بعبادتنا دون نشعر..

لا أنسى أبداً كم كان عميقاً وصادقاً أسف إحدى قريباتي المُسنَّات وهي تتحسَّرُ وتحزن لعجزها عن الصيام لأسباب صحية.. قد يصل الإنسان لعمرٍ يتحسر فيه ما فات من شبابه دون أن يستكثر من الصيام وغيره.. حزن قريبتي وتحسّرها.. جعلني وأنا بفضلٍ من الله في شبابي وعافيتي وقدرتي استزيد من الصلاة والصيام.. كمن يريد أن يملأ "حصالته" ويدخر فيها ما استطاع من متعة سجود وصيام قبل أن يأتي وقت العجز والشيخوخة "إن أكرمنا الله ببركة العمر"..

الأمر أشبه بالمثل الذي يقول "خبِّي قرشك الأبيض ليومك الأسود".. لا أريد أن يأتي يوم من الأيام أقول فيه يا ليتني.. أريد أن أقول.. الحمد لله أن ألهمني ورزقني الاستزادة من العبادة لأُشبِعَ بها قلبي وروحي.. فلا أندمُ على يومٍ فاتَ دون استثمارٍ ادَّخرهُ للمستقبل وللدار الآخرة.. أريد أن تزهر روحي بالطاعة على قدر الاستطاعة لا أقل.. أكانت في شباب أو شيخوخة.. فلا يمضي قطار العمر فأقول:

{يا ليتَني قدَّمتُ لحياتي} سورة الفجر..

فلنستزد ولنشحن أرواحنا بالعبادة شباباً لتكون زاداً يسندنا شيباً.. ويدرأ عن قلوبنا لحظات الحرقة والتحسُّر لاحقاً..

قال تعالى: {من كفرَ فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون}.سورة الروم .. فلنمهد الطريق لأنفسنا إذاً.. بالصالحات..

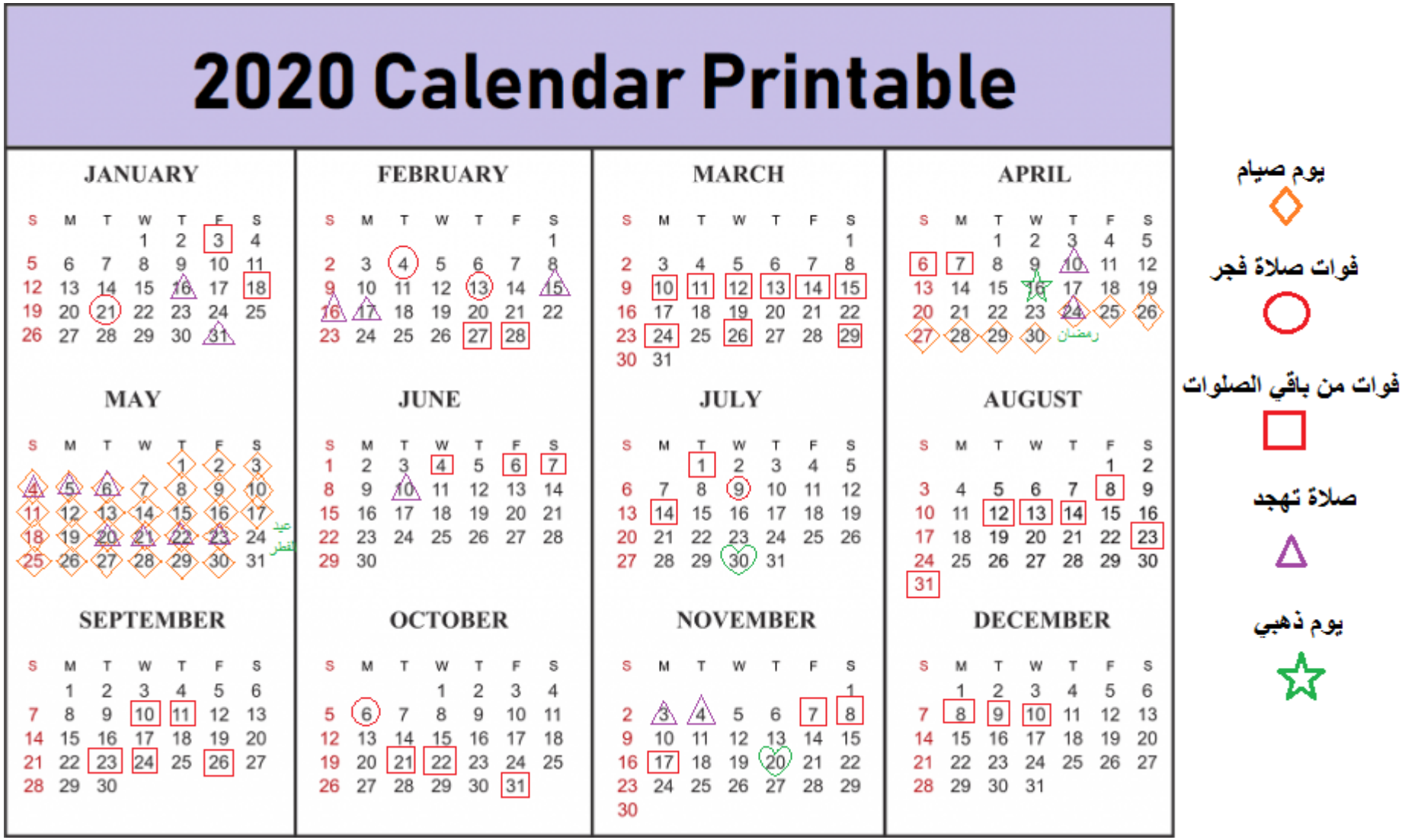
2020 Calendar Printable
JANUARY
FEBRUARY
MARCH
APRIL
MAY
JUNE
JULY
AUGUST
SEPTEMBER
OCTOBER
NOVEMBER
DECEMBER
عيد الفطر
رمضان
يوم صيام
فوات صلاة فجر
فوات من باقي الصلوات
صلاة تهجد
يوم ذهبي

عن عُمره فيما أفناه؟

يُسأل المرء..

ووقتك ببساطة هو عمرك بين الولادة والمماة.. فأحسِنْ له بتجنب اللهو.. واحذر لصوص الوقت من مُماطلة.. تسويف.. ضبابية في الأولويات.. عدم القدرة على قول لا.. تكرار المجهود الفاشل بنفس الأسلوب.. الظروف الاعتراضية.. وأولاً وأخيراً في عصرنا هذا وسائل التواصل الاجتماعي.. وكما يقال الزمن الذي نلهو به يلهو بنا..

ورَدَ من أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - : "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزدد فيه عملي". وكان ابن الجوزي - رحمه الله - إذا دخل عليه مَن يظن فيه تضييع وقته، كان يشغل نفسه بالقيام ببَرْيِ الأقلام، وقص الأوراق حتى لا يضيع وقته..

وجاء في قيمة الوقت في موقع فضيلة الشيخ د.خالد بن عثمان السبت:

"إن سلفنا الصالح قد شغلوا أوقاتهم بالعبادة، ولم يكن لديهم فراغ، وكانوا يكرهون أن يروا الرجل في فراغ ليس في شغل من أشغال الدنيا، ولا في عمل من عمل الآخرة، فهو ليس عنده شيء يتقرب به إلى الله أو يتقوت به في هذه الحياة الدنيا.

إن السلف الصالح - رحمهم الله - كانت تؤثر فيهم الكلمة، وابن عمر - رضي الله تعالى عنه - لما شاهد رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة يقعد لأصحابه، ثم يسألهم عن رؤيا رأوها فيخبرونه، ثم يؤوّل لهم ذلك، يقول: فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ وكان شاباً أعزبَ ينام في المسجد، يقول: فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان

كقرني الذئب، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما ملَك فقال لي: لم تُرَعْ، يقول: فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) يقول سالم بن عبد الله بن عمر: "فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً".

إنها كلمة واحدة سمعها: (نِعمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً، حتى كان يصلي، ثم إذا قارب الفجر يقول لمولاه نافع: أسْحَرْنا؟ أي أدخلنا في السحر؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول ذلك ثانية، وثالثة، ويقعد يستغفر، ويدعو حتى يصبح، وكان له محراب يقوم فيه، ويصلي - رضي الله عنه -.

هكذا كانت ليالهم، فلم تكن الليالي مشغولة أمام غرف المحادثات بجميع أنواعها في الإنترنت، ولم تكن لياليهم مشغولة أمام الفوازير، والمسلسلات، والتمثيليات، ولم تكن لياليهم تُقضى في القيل، والقال، ولعب الورق، والغيبة، والنميمة، والتجول في الأسواق".

إذا كان السلف الصالح على صلاحه يرى أن عهد النوم قد مضى.. فما حالنا نحن اليوم.. أبناء الإسلام وأتباعُ محمد ﷺ.. ونحن أحوَجُ ما يكون للصحوة وهجر الفراش.. إذا كانوا وعلى حُسن عبادتهم وعملهم يطلّقون عهد النوم.. فماذا علينا أن نفعل نحن لتجاوز القصور الذي اعترانا.. ولنقترب قليلاً من مدارهم..

لا يغيب عن أذهاننا أن فراش اليوم وما فيه من إشارة إلى أسباب التقاعس عن العبادة قد يتجاوز المعنى الحرفي للكلمة.. فعلينا مثلاً في وقتنا هذا أن نهجر أيضاً التسكُّعَ اليوميّ على مواقع التواصل الاجتماعي.. ونهجر البرامج التلفزيونية التي تستنزف وقتنا وطاقتنا وتدخلنا في زوبعة اللهو الضار فلا تضيف قيمة إيجابية لحياتنا.. علينا أن ننأى بعقولنا عن مجاملات محادثات الواتس والفيسبوك

والتلغرام وما شابهها من برامج.. ونحجم عن الخوض في هرج ومرج ولغو مجموعاتهم المجانية إلا فيما يحقق صلة رحم أو جبر خاطر أو بثّ طاقة إيجابية أو نشر علم نافع أو قضاء حاجة لأحد..

في وقتنا الحالي تعدَّدت أشكال الفراش الذي يؤخرنا عن ركب السابقين السابقين.. وتعدَّدت أسباب التعطيل الخفية التي يجب أن نحذرها ونتدرب على الاستغناء عنها قبل أن تتملكنا دون أن نشعر..

لا يستهويني جَلْدُ الذات.. لكن الهروب أيضاً وتجاهل الحقائق ليس صحياً.. لا بدَّ من وقفة مع الذات لمكاشفتها ومحاسبتها بهدوء دون جَلْد.. لا بدَّ من تصويرٍ لواقع الحال دون فلاتر تُجمّله وتخفف من وطأة لوم أنفسنا.. نحنُ بحاجة للنفس اللوامة كي نشعر بضرورة التقييم ثم التقويم.. ونِصْفُ حلِّ المشكلة هو في إدراكها ومعرفتها وتشخيصها.

علينا أن نعيَ خطر فخِّ الاعتياد الذي وقعنا فيه.. اعتياد: الحال.. التهاون بالمعاصي.. التراخي وائتلاف السيئات.. التقصير..

وتلك هي الغفلة.. والله أعلم..

فعدوّنا الخفي هو صوت التسويف الذي يطمئننا أننا بخير الآن وأننا أفضل من غيرنا بكثير ويكفي أننا طيبون.. وأننا مع الوقت سوف نعمل وسوف نجتهد وسوف.. وسوف.. فيبقينا في منطقة الراحة الوهمية Comfort Zone.. إلى أجلٍ غير مسمى.. وقد لا يسمى أبداً.. في حين يخبو الصوت الذي ينبهنا إلى تأخرنا في تلبية أمر الله كما يريد..

ما أجمل أن نعجل إلى ربنا بالطاعات ليرضى.. كقول سيدنا موسى عليه السلام لربه في الآية الكريمة {وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضى} سورة طه..

وكما نصحَنَا السلفُ الصالح.. إياكم و "سوفَ".. فقد هلكَ المُسوِّفون.. ولنعجل إلى مغادرة منطقة الراحة الوهمية.. منطقة الاعتياد..

يشيرُ خبراء علم النفس أن الإنسان لا يميلُ إلى مغادرة هذه المنطقة بل يتمسك بالبقاء فيها.. لكن بالمقابل يشير خبراء التنمية البشرية إلى أن النجاحات الحقيقية لا تتحقق إلا بمغادرة هذه المنطقة ولو شقَّ علينا ذلك بادئ الأمر.. طالما أن الهدف غالٍ ويستحق عناء المجاهدة.. ولا ننسى أن تحوّل دودة القز إلى فراشة طليقة جميلة يتطلب مُكابدتها آلام الخروج من الشرنقة.. خاصة عندما يصبح البقاء فيها أشدّ إيلاماً وخطراً من تمزيقها والمغادرة..

فلا يغرنَّك مصطلح الراحة الذي يُزيِّن التقاعسَ في قلوبنا.. ويثنينا أو يؤخرنا عن إطلاق صافرة البداية.. ولنتذكر دائماً أن الله سبحانه وتعالى لا يجمع على عبده خوفين ولا يجمع له أمنين..

فإن خفنا التقصير في الدنيا نِلنا أمنَ الآخرة إن شاء الله.. وأمنُ الآخرة يستحق تعب الدنيا والزهد في راحتها..

ثم أيُّ راحةٍ؟ والله تعالى أمر نبيَّه مُحمَّد ﷺ فقال {فإذا فرغتَ فانصب}سورة الشرح .. والنَصَب هو التعب.. تعب من أجل الدعوة.. تعب في العبادة وجهاد النفس.. تعبٌ نشتري به راحتنا في الآخرة.. وتلك هي التجارة الرابحة..

أحياناً يتطلَّب الأمر منّا أن نجفف موارد مصنع الذنوب الذي في أنفسنا لتبديل خط الإنتاج.. أن نخطوَ خطوة جريئة ونمزق الصفحة فلا نكتفي بقلبها فقط.. كي نضمن عدم الرجوع إليها.. ولكلٍّ منّا معطياته وحوافزه وأسلوبه في النهوض والانطلاق..

لا شكَّ أن بيئة المرء تلعب دوراً هاماً في نهضته تلك.. البعض لا يُعينُهم وضعهم الاجتماعي والعائلي لبُعدِه عن الله.. لكن الأجر والثواب على قدر المشقَّة.. والله سبحانه وله الحمد لا يضيع عمل عامل منَّا من ذكرٍ أو أنثى.. والمُعين في هذا التغيير هو الرحمن

وسيجد لنا الأسباب إن صَدَّقناه وصَدقناه.. فهو المُهيمن الذي يُهيمنُ على كلِّ أمر.. ولا يُعجزهُ شيء.. {قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماءٍ مَعين} سورة الملك..

ماذا تُريدونى أن أعلِّمَه؟

إنه لا يُحبُّنى!

هذا ما عبّرَ عنه سقراط..

المحبة.. شرطٌ لازم وقد يكون غير كافٍ للتعلم.. لكنه شرط لازم للتعلم الصحيح.. إذا أحببتَ مُعلمك فإنك سوف تتلقف منه العلم بسلاسة ويرسخ في عقلك وقلبك معاً.. ستنتظر خروج الكلمات من فمه لتدخل آذانك الصاغية وتستقر في ذاكرتك للأبد.. هكذا هو المعلم..

ولكي أتعلم حقاً من سيدي الرسول ﷺ لا بدَّ أن يكون الحبيب قبل المعلم.. لا بدَّ أن أحبه ثم أتعلم منه.. ولكي أحبه يجب أن أعرفه.. وهنا بيت القصيد..

علينا أن نقرأ سيرة سيدنا محمد ﷺ ونتوقف على عبرها وعظاتها وإسقاطاتها.. نقرأ ونتخيل بمحبة وشغف وليس كمن يُذاكر فرضاً.. نقرأ عن رسولنا الإنسان.. الطفل اليتيم.. الراعي الشاب.. التاجر.. الزوج.. الأب.. المعلم.. القائد.. المجاهد.. نقرأ عن "الصادق الأمين"..

استوقفتني مشاهد من حياة معلمي الحبيب عندما بدأت باستنشاق سيرته العطرة من بعض المراجع وأهمها كتاب فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - رحمه الله - الذي اقتبست منه جلّ الفقرات التالية عن السيرة النبوية.. وكان للعديد من المشاهد فيها عظيم الأثر في وجداني.. فمعظمنا يعلم الأحداث الرئيسية التي تعاقبت في سيرة رسولنا الكريم ﷺ.. لكنني أحببت أن أعرج على

بعض المواقف التي لامست قلبي وحرَّضَت مخيلتي حتى كدّت أتصور المكان والأشخاص والحوارات والمشاعر!

إضاءات على مقتطفات تحرك القلب والعاطفة وتعزِّزُ في قلوبنا محبة معلمنا الرسول ﷺ.. لنا أن نستعرضها معاً:

وُلِدَ يتيماً.. حيث مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين.. استرضع له جده عبد المطلب على عادة العرب.. وبصعوبة استطاع أن يجد له امرأة مرضعة من بني سعد بن بكر "أحد بطون قبيلة هوازن".. يقال لها حليمة.. وكانت بادية بني سعد تعاني سنة مجدبة جفَّ فيها الضرع ويبس الزرع فما هو إلا أن صار الرضيع محمد في منزل حليمة واستكان إلى حجرها حتى عادت منازل حليمة من حول خبائها ممرعة مخضرّة فكانت أغنامها تروح منها عائدة إلى الدار شباعاً ممتلئة الضرع.

حلت البركة بحلولك يا سيدي الرضيع.. بعد أن أعرضت عنك جلّ مرضعات قبيلة هوازن فلم تكن مطمعاً لهنَّ لأنك يتيم.. إلى أن رقَّ قلب حليمة لك فأشفقت عليك وأبت أن تعود خاوية الوفاض إلى ديارها.. فقبلتك بعد إحجام الأخريات عنك..

ويال سعد السعدية بما خبأه لها القدر من حظوة.. وهل أجمل من ملامسة وجنتيك الشريفتين وأنت ترضع في حجرها.. وهل أغلى من شرف احتضانك!

كبر الرضيع وبلغ السادسة من العمر حين ماتت أمه آمنة.. وما أن تحوّل إلى كفالة جده عبد المطلب حتى وافته المنية هو الآخر فمات وقد تمَّ للنبي ﷺ ثماني سنوات.. فكفله عمه أبو طالب.. ولما أتم ﷺ من العمر اثنتي عشرة سنة اصطحبه عمه إلى الشام في ركب للتجارة.. فنزلوا "بصرى" ومروا على راهب هناك يقال له "بحيرا" وكان عليماً بالإنجيل خبيراً بشؤون النصرانية وما إن أبصر بحيرا

النبي ﷺ جعل يتأمله ويكلمه ثم التفت إلى أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ فقال: ابني "وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته له وشفقته عليه" فقال له بحيرا: ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حيّاً. فقال: هو ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به. قال بحيرا: صدقت. فارجع به إلى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه هنا ليبلغنه شراً.. فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.. فأسرع به أبو طالب عائداً إلى مكة.

استقبل رسول الله ﷺ فترة الشباب من عمره فبدأ بالسعي للرزق وراح يشتغل برعي الغنم.. وحفظه الله من كل ما قد ينحرف إليه الشبان من مظاهر اللهو والعبث.. وأما إقباله على رعي الأغنام لقصد اكتساب القوت والرزق ففيه كما ذكر الدكتور البوطي ثلاث دلالات هامة:

الأولى: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمّل الله تعالى بهما نبيَّه محمد ﷺ لقد كان عمه يحوطه بالعناية التامة.. وكان له في الحنو والشفقة كالأب الشفوق.. ولكنه ما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب.. ويجتهد جهده لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤونة الإنفاق عن عمه.. وربما كانت الفائدة التي يجنيها من وراء عمله الذي اختاره الله له فائدة قليلة غير ذات أهمية بالنسبة لعمه أبي طالب.. ولكنه على كلٍّ تعبير أخلاقي رفيع عن الشكر.. وبذل للوسع.. وشهامة في الطبع.. وبرٌّ في المعاملة..

الثانية: وتتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا.. لقد كان سهلاً على القدرة الإلهية أن تهيِّئ للنبي ﷺ وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعياً وراء القوت.. ولكن الحكمة الإلهية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه.. وشرّ المال ما

أصابه الإنسان وهو مستلقٍ على ظهره دون أن يرى أي تعب في سبيله.. ودون أن يبذل أي فائدة للمجتمع في مقابله..

الثالثة: إن صاحب أي دعوة لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم.. ولذا فقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أحرى الناس كلهم بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة أو فضل في دنياه فيعوقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه غير مبال بالموقع الذي قد تقع من نفسه.

انتقل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك للعمل في التجارة وكان زواجه من السيدة خديجة بعد أن خرج في مالها إلى الشام تاجراً فلمست منه أمانة تامة ونبلاً عظيماً وتوفيقاً في الرزق. وكان له من العمر خمس وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون عاماً.. ولقد ظل هذا الزواج قائماً حتى توفيت السيدة خديجة عن خمسة وستين عاماً وقد ناهز النبي ﷺ الخمسين من العمر.. دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أو فتاة أخرى.. وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن محمد ﷺ تجاوز هذه الفترة من العمر دون أن يفكر بأن يضم إلى السيدة خديجة مثلها من الإناث: زوجة أو أمة.. ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء.. دون أن يخرق بذلك عُرفاً أو يخرج عن مألوف بين الناس.. سيّما أنه تزوج السيدة خديجة وهي أيِّم "سبق لها الزواج مرتين قبله".. وكانت تكبره سناً.

وفي هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه من المبشِّرين والمستشرقين وأتباعهم الذين يسيرون من ورائهم ويريدون أن يلصقوا به صورة الرجل الشهوان الغارق في

لذّة الجسد.. وموضوع زواجه عليه الصلاة والسلام دليل كافٍ على عكس ذلك تماماً..

فالرجل الشهوان لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة مثل بيئة العرب في جاهليتها عفيف النفس دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج من حوله.. والرجل الشهوان لا يقبل بعد ذلك أن يتزوج من أيِّم تكبره عمراً.. ثم يعيش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله وإن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل.. إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب ثم الكهولة ويدخل مدارج الشيخوخة.

أما زواجه بعد ذلك من عائشة ثم من غيرها فإن لكل منهن قصة ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان من إيمان المُسلم بعظمة محمد ﷺ ورفعة شأنه وكمال أخلاقه.. وأياً كانت الحكمة والسبب فإنه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابة للرغبة الجنسية.. إذ لو كان كذلك لكان أحرى به أن يستجيب للوطر والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي لهذه الرغبة وندائها.. خصوصاً وقد كان إذ ذاك خالي الفكر ليس له من هموم الدعوة ومشاغلها ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية.

وبِدنوِّهِ من الأربعين حُبِّبَ إليه الاختلاء في غار حراء إلى أن جاءه الوحي كما نعلم.. وإن لهذه الخلوة التي حُبِّبَت إلى قلبه دلالة عظيمة فهي توضح أنه لا بد للمسلم من ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس ويتفكر في مظاهر الكون وقدرة الخالق.. وحكمة ذلك أن للنفس آفات لا يقطع شرتها إلا دواء العزلة عن الناس ومحاسبتها في نجوة من ضجيج الدنيا ومظاهرها.. فالكبر والعجب والحسد والرياء وحبّ الدنيا كل ذلك آفات من شأنها أن تتحكم في النفس وتتغلغل إلى أعماق القلب وتعمل عملها التهديمي في باطن الإنسان على الرغم مما قد يتحلى به ظاهره من الأعمال الصالحة والعبادات المبرورة.. كما أن تربية محبة الله عزَّ وجلَّ في القلب – بعد الإيمان به – تكون

بكثرة التفكير في آلائه ونعمه والتأمل في مدى جلاله وعظمته.. ثم الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى بالقلب واللسان..

وإنما يتم كل ذلك بالعزلة والخلوة والابتعاد عن شواغل الدنيا وضوضائها في فترات متقطعة متكررة من الزمن..

اختلاء.. إلى أن بدأ الوحي.. ورجع رسول الله ﷺ في تلك الليلة إلى بيته يرجف فؤاده.. فدخل على خديجة رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع.. فأخبر خديجة بما حدث.. وقال: (لقد خشيت على نفسي).. فقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.. فانطلقت به حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب.. وكان شيخاً كبيراً قد عمي.. فقالت له خديجة: يا ابن عم.. اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.. فقال له ورقة: هذا الناموس "أي جبريل أو الوحي" الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً "شاباً قوياً" ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.. فقال رسول الله ﷺ: أوَ مخرجي هم؟ قال: نعم.. لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عوديَ.. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.. ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفترَ الوحي ثم عاد.

يلفتنا هنا أمران.. تلك الزوجة العظيمة التي وقفت إلى جانب زوجها في لحظات الضعف والخوف فشدّت له عزمه وطمأنته.. مع أن طبيعة النساء عموماً تقتضي اللوم والتأنيب على ذهابه.. ولماذا تختلي أصلاً؟ وتهجر بيتك وأسرتك أياماً وأسابيع بين الحين والآخر؟..

لكنها كانت الكتف القوي الذي يستند إليه.. وآزَرَتْهُ في محنته وأيدَّته فلم تُخطِّيء سلوكه..

والأمر الثاني انتابني به فضول كبير لرؤية تعابير وجه سيدي الرسول ﷺ ومعرفة كيف كان حاله وشعوره ومدى استغرابه حين قال له ورقة "إذ يخرجك قومك".. هل آلمته هذه الجملة؟ هل اعتراه الشعور بالهمِّ والخذلان والخوف من أن يهون على قومه فيخرجوه وهو الذي طالما كان فيهم الصادق الأمين!

نعلم ما حدث بعد ذلك من بدءٍ للدعوة سراً ثم جهراً ثم رفض رسولنا الكريم ﷺ لكثير من عروض الجاه والمال والنساء والسلطة مقابل الرجوع عن دعوته.. ثم عام الحزن الذي توفيت فيه أم المؤمنين خديجة.. أنس الرسول وسلواه.. ثم عمه أبو طالب سنده في قومه.. فبدأ الأذى يشتدُّ عليه من قريش وسميَّ هذا العام عام الحزن لشدة ما كابد فيه عليه الصلاة والسلام من الشدائد في سبيل الدعوة.

ألا نحبه وهو اليتيم البريء الطاهر العفيف؟ ألا نحبه وهو المُجِدُّ الساعي لرزقه بصدق وأمانة؟ ألا نحبه وهو الزوج اللطيف حسن المعشر؟ ألا نحبه وهو من كابد الشدائد وتخلى عن الراحة والمال والجاه لنفسه وآثر الخير للأمة عموماً إلى أن طالنا اليوم هذا الخير؟

بعد استفحال الأذى الذي لحق بالمسلمين في مكة جاءت الهجرة إلى مدينة يثرب التي نوَّرَها رسولنا الكريم ﷺ ثم دارت الأيام وعاد فاتحاً إلى مكة فأكرم أهلها وهو قادرٌ عليهم..

وتتابعت فصول الدعوة وانتصاراتها وتمكينها بعزيمة رسولنا الكريم ﷺ وصحبه.. إلى أن جاءت حجة الوداع وخطبتها وهو الموقف الذي لا يُحسد عليه الرجال.. ولا أشدّ خسارة من خسارة شخص الرسول وحضوره بينهم..

(أيها الناس: اسمعوا قولي.. فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً)..

ما أقسى هذه العبارة على مسمع محبيك يا حبيبي يا رسول الله!

لم أحظَ بصحبتك ولم أمتع ناظريَّ برؤية مُحيّاك.. ومع ذلك شعرت من مكاني وزماني هذا الآن بفداحة وقعها على الروح.. إنها اليُتم بعينه..

ومما قال في خطبته تلك أيضاً: (اتقوا الله في النساء) وهل من تكريم للمرأة يفوق هذا التكريم والاحترام.. لحظات عصيبة يصغي فيها جموع المسلمين بانتباهٍ لخطبة وداع حبيبهم فيوصيهم بالنساء..

عاد الرسول ﷺ بعد ذلك إلى المدينة المنورة وكان أول وجعه صداعاً شديداً يجده في رأسه.. فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ لما رجع من البقيع استقبلته وهي تقول: وارأساه.. فقال لها ﷺ: (بل أنا والله يا عائشة وارأساه).. ثم ثقل عليه الوجع فكان حمى شديدة تنتابه.. وكانت السيدة عائشة ترقيه ﷺ خلال ذلك بمعوذاتٍ من القرآن.

وكان أن خرج ﷺ إلى الناس في المدينة فصلى بهم وخطبهم.. فجلس على المنبر عاصباً رأسه.. ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال:

(عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر رضي الله عنه "إذ علم ما يقصده النبي ﷺ" وناداه قائلاً: فديناك بآبائنا وأمهاتنا..

ثم تابع الرسول ﷺ خطابه مُثنياً على أبي بكر.. وأصبح أبو بكر بعد ذلك هو من يصلي بالناس بعد أن اشتدَّ المرضُ على سيدنا محمد ﷺ.. إلى أن جاءت سكرات الموت...

وذلك حُكمُ الله في عباده كلهم {إنّكَ ميتٌ وإنهم ميتون} سورة الزمر. وبينما الناس يوماً في المسجد يصلون خلف أبي بكر رضي الله عنه إذا بالستر المضروب على حجرة عائشة قد كشف وبرز رسول الله

ﷺ من ورائه فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسَّمَ يضحك.. فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف.. فقد ظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة.. وهَمَّ المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر..

وانصرف الناس من صلاتهم وهم يحسبون أن النبي ﷺ قد نشط من مرضه.. ولكن تبيَّن أنها كانت نظرة وداع منه ﷺ إلى أصحابه.. فقد عاد عليه الصلاة والسلام فاضطجع إلى حجر عائشة رضي الله عنها وأسندت رأسه وجعلت تتغشاه سكرة الموت.. قالت: وكان بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول:

(لا إله إلا الله .. إنَّ للموت سكرات)

وكانت فاطمة رضي الله عنها إذا رأت منه ذلك قالت: واكرب أباه؟.. فيقول لها عليه الصلاة والسلام: (ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم).

قالت عائشة رضي الله عنها: "إن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته.. دخل عليَّ عبد الرحمن – ابن أبي بكر – وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه.. وعرفت أنه يحبُّ السواك فقلت: آخذه لك.. فأشار برأسه أن نعم.. فتناولته فاشتد عليه.. فقلت: أليّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم.. فلينته فأمرّه.. وبين يديه ركوة فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح وجهه ويقول: **(لا إله إلا الله .. إنَّ للموت سكرات)**.. ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى).. حتى قبض.. ومالت يده"...

لا أستطيع تخيُّلَ مشهدٍ أقسى مما ورد في احتضار حبيبنا محمد ﷺ.. مع علمي بمنزلته ومقامه الرفيع الذي أكرمه الله به.. وأنه

انتقل إلى دار أفضل من دارنا هذه.. لكن فراقه وانحباس أنفاسه عن هواء اعتاد أن يتعطَّر بها أمرٌ غاية في الصعوبة..

انتشر خبر وفاته ﷺ في الناس وأقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرس من مسكنه في السنح "وكان قد ذهب إلى منزله هناك آملاً أنه ﷺ قد عوفي من وجعه" حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة.. فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبله وبكى.... ثم قال: "بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين.. أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها" ثم خرج رضي الله عنه وعمر يكلم الناس أن رسول الله ﷺ لم يمت.. ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وأنه ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين.. فأقبل أبو بكر يقول له: على رسلك يا عمر.. أنصت.. ولكنه استمر في كلامه مُهتاجاً.. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فأقبلوا إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد أيها الناس.. من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات.. ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت.. قال الله تعالى: {وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُسُل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم} سورة آل عمران.

فكأن الناس لم يعلموا أن الله نزّل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر.. فتلقاها منه الناس كلهم.. فما سمعها بشر من الناس إلا وأخذ يتلوها.. قال عمر رضي الله عنه: "والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها.. فعُقِرْتُ ما تُقِلّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها وعلمت أن النبي ﷺ قد مات".

وروى البخاري عن عمرو بن الحارث قال: "ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أَمَة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة"

إذاً .. فـ ...

" إنَّ .. مُحمَّداً .. قد .. مات "

هل تَجَرَّعتُم مرارةَ الكلمة؟

هل تخيَّلتم صعوبة مشاهد موت ودفن ووداع حبيب الأمة؟

حُقَّ لفاطمة رضي الله عنها قولها لصحابة أبيها ﷺ تعبيراً عن حزنها وليس اعتراضاً على دفنه .. "أطابَت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!"..

هل آلمكم الفقد؟ هل شعرتم بمحبة متأخرة لشخصه ﷺ وهو من آثَرَ تكبُّدَ أعباء الدعوة على الركون إلى راحة المال والجاه والسلطة؟ ما الذي دفعه لاختيار الطريق الأشد وعورة ليمهد لنا طريق الإيمان والأمان؟ أيحبنا ونحن الذين لم نلقه؟ نعم يحبنا وهو من قال: (وَددتُ أني لقيت إخواني).. فقال أصحاب النبي ﷺ أوليس نحن إخوانك قال: (بل أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني)..

وقد كان لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة دعاها في الدنيا إلا رسولنا الكريم ﷺ ادّخر دعوته ليشفع لنا يوم الحساب..

قال عليه الصلاة والسلام (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها.. وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة).

لا نؤمن بك فقط يا سيدي يا رسول الله .. بل ونحبك حباً يليق بقلبك الكبير وحرصك على إيماننا ونجاتنا..

وإذ أحببناك.. اتبعناك.. وتعلمنا منك.. وندعوا الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه... علِّمنا ما استطعت يا رسول الله.. فإننا نحبك..

أفلا نعزِّزُ سُنَّتهُ.. أفلا نكثرُ من الصلاةِ عليه؟

عليك أفضل الصلاة والسلام يا حبيبي ومعلمي محمد...

عندما تصالحتُ مع موتى

كانت نقلةً نوعيَّةً في حياتي تلك الفترة التي بدأت أتعاطى فيها مع فكرة الموت على أنه بداية.. لا نهاية.. على أنه جسر بين حياتين أو شكلين للحياة..

لطالما توجَّستُ من الموت.. خاصة عند سفري براً بالسيارة أو الحافلة أو سفري جواً بالطائرة.. كانت تحضرني قصص حوادث السفر وأخشى أن يكون السفر الأخير.. ليس خوفاً من سكرات الموت وما قد يتخللها من ألمٍ فقط.. لكنه الخوف مما قد يلي تلك السكرات.. و**"إلى أين الآن؟"**..

لم أكن أشعر بأدنى جهوزية لهذه التجربة.. تجربة الرحيل وانقطاع العمل فجأة.. لم أكن جاهزة للمغادرة بعد..

لكنها سنَّةُ الحياة.. الناس موتى مُؤجلون.. كنت أتساءل دائماً عن مشاعر أحدنا تجاه يوم وفاته.. ماذا لو علم الإنسان مُسبقاً أنه سيموت في يوم ثلاثاء مثلاً.. كيف ستكون مشاعره قبيل كل ثلاثاء.. كيف سيكون تخطيط قلبه عشيَّة كل ثلاثاء.. كيف سيستقبل هذا اليوم من أيام الأسبوع وهو يعلم أنه راحل في أحد الثلاثاءات!

لهذه الدرجة كنت أتوجس من الموت.. إلى أن وجدت الترياق لسم هذه الفكرة..

نعم قد تكون سنواتي الماضية مُثقلة بالمعاصي والذنوب لكن من نِعم وفضل الله علينا في ديننا الحنيف وجود بطاقة "التوبة"..

أدركت لاحقاً كم أن الله كريم معنا في قبول توبتنا هكذا بكل بساطة.. يكفي الندم على ما مضى والتوبة والاستغفار.. وصدق العزم على عدم العودة إلى ارتكاب الذنب.. ومبارك لك المغفرة..

لا بل وأكثر من ذلك.. ستنقلب سيئاتك السابقة المتعلقة بما تبت عنه إلى حسنات.. أليس من الغباء أن نُكابر ونتأبَّى عن التوبة ونفوِّت ربح كل هذه العروض السخية الكريمة من ربٍّ قادرٍ على تعذيبنا.. ولكنه عفوٌّ يحب العفو؟

{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} سورة الأنفال.

إن كان الأمر يحسب بمعادلات رياضية دنيوية.. فنحن بحاجة لعمر ثانٍ نكفر فيه عن العمر الأول بجهالته ومعاصيه.. ولا أحد يعلم إن كان في العمر بقيّة تكفي لسداد ديوننا أو نستطيع فيها أن نستدرك هفوات ما مضى!

هل القادم يكفي لتكفير ذنوبنا السابقة؟ لو كان الأمر كذلك لاحتجنا سنواتٍ من العمل والاجتهاد والطاعات لتعويض تقصيرنا ولهونا الفائت.. لكنها هبة قبول التوبة وإحسان الله إليك ورحمته التي تتجاوز كل معادلات المنطق والرياضيات..

حسابٌ رؤوفٌ من نوعٍ آخرَ يجعلك مُطمئناً بمجرد أن وطأتَ بتوبتك أرضك الجديدة بخطوةٍ واحدة.. وكأن تلك التوبة هي تأشيرة دخولك أرض السالمين الآمنين.. أرض الطاعات والتقرُّب من الله..

خطوة واحدة فيها تكفي لتزرع في قلبك الطمأنينة والسلام أنك الآن على برِّ الأمان وإن وافتك المنية توّاً سيُحسب لك أنك بدأت وستؤخذ نيتك بالاستمرار بعين الاعتبار إن شاء الله.. {وإنِّي لغفَّار لمن تابَ وآمَنَ وعمل صالحاً ثم اهتدى} سورة طه.

من قصص التوبة التي تركت أثراً في نفسي.. توبة الفضيل بن عياض الذي عُرف لاحقاً بشدة وَرَعِه.. وقد كان قبل توبته قاطعاً للطريق فعشق جارية وبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم} سورة الحديد. فلما سمعها قال: "بلى يا ربّ قد آن" ... فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة -

أي مارَّة - فقال بعضهم: نرحل وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا... قال: ففكرت.. وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي.. وقومٌ من المسلمين ها هنا يخافوني.. وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع.. اللهم إني قد تبتُ إليك.. وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام..

لعلكم وأنتم تقرأونها الآن.. استشعرتم صدى وجمال نطق هذه العبارة بين يَدَيِّ الرحمن **"اللهم إني قد تُبتُ إليك"** ..

"إني أنا العبد الفقير التائه.. تُبتُ إليك أنت "جلَّ جلالك".. أنا وأنت فقط يا الله .. ولا يمنعني عن رحمتك ونور هدايتك ما تقدَّم من ذنبي بعد توبتي" .. ستغمرك حينها راحة مُطلقة وليحدث ما يحدث الآن..

ومن يدري؟ فقد تكون رجعة الفضيل بن عياض وتوقيره لكلام الله حينها ووقوفه تلك المرة عند حدود الله.. وبذرة الطاعة التي لا زالت في قلبه سبباً في أن منَّ الله عليه بعد ذلك بفضل تلك التوبة وذلك الانقلاب إلى الصلاح.. هو أمرٌ أبسط بكثير مما تزرعه في نفسك وساوس وتعقيدات الشيطان من قنوط ويأس.. هناك طريق مُمَهَّدٌ ومختصر جداً للعودة إلى جادّة الصواب.. مسافة زمنية بسيطة.. بضع ثوان.. يستغرقها نطق التوبة بلسانك وقلبك تفصلك عن حياة جديدة..... فقط: ارفع يديك إلى الرحمن بصدق وسينتشلك من ظلمات الضلال إلى نور التوبة.. إن شاء الله..

أجمل ما في التوبة أنها تعمل مباشرة على تصفير عدَّاد الذنوب.. بل وتقلب حالك على نحو لم تكن تتوقعه أو تنوي الوصول إليه.. أليس ربُّ العالمين يحبُّ التوَّابين.. التوابين وليس التائبين فقط..

والتوَّابون هم كثيروا التوبة.. من يتوبون دائماً إلى الله..

من أجمل ما قرأت عن التوبة كان في كتاب "استرجع قلبك" للكاتبة الرائعة ياسمين مجاهد:

"هناك شيء فعّال ومدهش في التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.. فهي صقلٌ للقلب.. الشيء المدهش في الصقل أنه ليس مجرد تنظيف.. بل إنه يجعل الشيء الذي يصقل أكثر بريقاً مما كان عليه قبل أن يتسخ.. إذا رجعت إلى الله سبحانه وتعالى مُلتمساً صفحه.. وجعلت الله محور حياتك وقلبك فستكون لديك إمكانية لأن تكون أغنى كما لو كنت لم تسقط أبداً.. أحياناً السقوط ثم النهوض ثانيةً يكسبك حكمة وتواضعاً لا يمكن اكتسابهما بطريقة أخرى.. كتب ابن القيم رحمه الله: "إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار.. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مُشفقاً وجِلاً باكياً نادماً مُستحيياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له.. فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما يترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.. ويعمل الحسنة فلا يزال يمنُّ بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبباً في هلاكه"..

هذا لا يعني أن نتساهل بارتكاب المعاصي والسيئات والذنوب ونعوّل على التوبة عنها لاحقاً.. فأنت لا تعلم متى ستقبض روحك.. لا تعلم عدد ما تبقى لك من أنفاس.. ولا تضمن أن يسعفك الوقت فتُرزقَ فرصة التوبة عن ذنبك الذي ارتكبته مع سبق الإصرار والتصميم.. فليكن تعاملك مع الله بما يليق بكرمه وإحسانه.. ولا تتمادى طمعاً بالمغفرة.. قال تعالى: {إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً} سورة النساء.

إنها **التوبة** ...

جرعة المُهدِّئ وصمام الأمان أمام الجَزَعِ من فكرة الموت الذي قد يتخطَّفنا في أية لحظة..

ثم أنَّ رسولنا الكريم حدَّثنا أن **الله (يفرح)** بتوبة عبده..

" يـ .. فـ .. ـر .. ح " !!!

توقفت كثيراً عند هذه الكلمة دون أن يتمكن عقلي من الإحاطة بأبعادها التي لا حدود لها! ولعل هذا أجمل ما في الأمر بِرُمَّتِه...

فنحن حين يرضى سبحانه وتعالى لا تَسَعُنا الدنيا بما فيها.. فما بالكم بأن يفرح!! وهل أغلى وهل أعزُّ من أن يرزقنا الله فضل ومَكرُمَة أن تكون توبتنا سبباً في فرحه.. جلَّ وعلا.. وهل نتوقع منه تعالى أقل من أن يردَّ لنا هذا الفرح بفرحٍ وجبرٍ لقلوبنا.. وهو الله "الشكور".. اللهم فرّح قلوبنا وارزقنا فرحك بتوبتنا..

هرعت بعد هذا الحديث أنبشُ في قلبي عن معصية ما.. لا زالت والعياذ بالله عالقة فيه أو في سلوكي.. لأتوب عنها لَعَلِّي أفوزُ بحظوة فرح الله بهذه التوبة..

فلنتب ولنلزم الاستغفار وليأتي الثلاثاء وغيره متى شاء..

أهلاً به طالما فُزنا بالقفز إلى قافلة الناجين وحجزنا لنا مقعداً فيها بإذن الله..

وماذا لو كانَ صحيحاً؟

تسلَّلَ الشكُّ إلى قلبي يوماً بشأن فرض الحجاب.. وتأويلات النصوص التي ورد فيها فرضه.. لكنني عندما فكرت بالأمر من منطلق الربح والخسارة وما سأخسره إن التزمت بالحجاب؟

أناقتي؟ تغلغل الهواء بين خصل شعري؟

ليست باهظة تلك الفاتورة التي يترتب عليَّ دفعها في مقابل ما سأكسبه من السلعة التي اشتريها فيما لو كان الأمر صحيحاً ولا لبْسَ في فرضه..

سبحانك ربي أنت تعلم أنِّي أضعُ حجابي لاعتقادي بأنك فرضت ذلك عليَّ كمسلمة.. ورغبة مني في الطاعة وطلباً للأجر والثواب.. فإن كان فرضاً بحق فأنا على صواب.. وما فرّطتُ في طاعتي.. وإن كان خلاف ذلك وقد التبس على البعض أمر فرضه فأنا أضعه لأنني أخشى أن يكون هذا البعض مُخطئاً في تقديراته.. "ولن أقول نواياه".. أنا ألتزم بحجابي مظنة أنني أرضي به الله.. وكفى..

وسواء كنت على صواب أو أنهم على صواب فإني على يقين بأني مأجورة.. وكأنها سبل مختلفة تصبُّ في مكان واحد.. في النهاية أنا رابحة بإذن الله.. أو على أقل تقدير "غير خاسرة"..

هذه المحاكمة الذهنية التي تلقفتني إذ ذاك.. قد تتحرك في أذهان الكثيرات.. لكن فلنتخيل معاً أننا خلعنا حجابنا - وإن كنا ممن يلتزمون بالحشمة في هندامهم عموماً - ماذا لو خلعنا حجابنا وكان فرضه صحيحاً.. هل يستحق الأمر المجازفة وتكبّدَ خسارة كمِّ الحسنات التي تُضاف إلى موازين أعمالنا أوتوماتيكياً في كل لحظة تمرُّ والحجاب على رأسنا؟..

قرأت مرة تعليقاً لأحد الإخوة المسيحيين.. وكان قد أسلم حديثاً.. ولفتني ميزان حساباته في الربح والخسارة.. إذ قال: "إسلامي أكسبني محمد ولم يخسرني عيسى".. نعم ببساطة كان الأمر كذلك في ذهنه.. وربما من الخير لنا أحياناً ألا نبالغ في تعقيد الأمور..

سأل أحدُ المُلحدين أحدَ المؤمنين مرّةً: "ما هو شعورك إن متَّ واكتشفت أن كل ما كنت تسعى له من عبادة لله ورسوله كان وهماً وأنه لا حياة أخرى بعد الموت ولا إله ولا حساب؟"

فأجابه المؤمن: "لا شك أنه أخف وطأةً من شعورك فيما لو متَّ أنت وعلمت أن هناك ربٌّ للعالمين وهناك يومُ حساب"..

بيت القصيد.. أنك إن آمنت عن قناعةٍ تامة وترسخت عقيدة الإيمان ووقَرت في قلبك وصدَّقها عملُك بالطاعة والتنفيذ فهو خيرٌ لك ونِعم الخَيار.. وفضلٌ من الله ومِنّة.. وإن تسلل الشك إلى قلبك في شيء ولم تكتمل قناعتك بعد فكنت من المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. فلماذا لا تقرر حينها وفق ميزان الربح والخسارة بأبسط مفاهيمه؟.. ماذا سأخسر لو أطعتُ وكان سراباً؟ مقابل ماذا سأربح لو أطعتُ وكان حقاً؟..

هذا إن لم نفكر بعاقبة التفريط بالطاعة فيما لو كانت حقاً مطلوبة.. هل يستحق الأمر المغامرة من أجل حياة لا نكاد نحصي أيامها حتى تنتهي دون استئذان؟

إنه الخوف من الله.. ما يجعلك تمتثل لأوامره بتسليم.. فطاعتك انعكاس لخوفك.. وإلا فكيف لنا أن نترجم الخوف.. أو حتى الحب.. إن لم يقترن بالاستجابة؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربِّه جلَّ وعلا أنه قال: وعزَّتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين.. إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة.. وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة..

لا شك أن ديننا دين تفكُّرٍ وتدبُّرٍ وعقلانية.. لكن التسليم مطلوبٌ في الأمور التي تثير جدلاً ما.. تسليم بتنفيذ الأمر الذي "نعتقد" أنه يرضي الله.. فلا نشدُّ اللحاف إلى أهوائنا بحجة أنه لم يثبت الأمر عندما لا نتيقَّنُ من عدم ثبوته أيضاً.. والله أعلم..

لا بأس بتحمّل القليل من مشقة الدنيا خوفاً من مغبَّة التفريط بالطاعات في سبيل ضمان أمن الآخرة..

وفي هذا السياق اقتبسُ الكلمات التالية من مقالٍ وردَ في موقع إسلام ويب حول الحديث القدسي السابق:

"والخوف هو السوط الذي يسوق النفس إلى الله والدار الآخرة.. وبدونه تركن النفس إلى الدعة والأمن وترك العمل اتكالاً على عفو الله ورحمته.. فإن الآمن لا يعمل.. ولا يمكن أن يجتهد في العمل إلا من أقلقه الخوف وأزعجه"..

ولهذا قال من قال من السلف: " الخوف سوط الله يقوِّم به الشاردين عن بابه.. وما فارق الخوف قلباً إلا خرب" وقال آخرون: " الناس على الطريق ما لم يزل الخوف عنهم.. فإذا زال الخوف ضلوا الطريق".

ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف وعلى قدر العلم والمعرفة بالله يكون الخوف والخشية منه.. ثم الطاعة..

قال سبحانه وتعالى: { إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ} سورة فاطر.

يقول الشيخ الدكتور زغلول النجار: "عندما تجد عباقرة في الهند يعبدون البقر.. وجراح أعصاب ملحد لا يرى في خلق الله إتقان.. ودكتور جامعة يناقش الله في الميراث.. وأديباً في اللغة العربية يعترض على فصاحة القرآن.. ومفكر يرى السنة رجعية.. وفي المقابل تجد رجلاً بسيطاً يقوم في عز البرد القارس ليصلي الفجر.. وامرأة عجوز طاعنة في السن لا تعرف القراءة والكتابة ومع ذلك

لا تترك قيام الليل وصيام النوافل.. وشيخ عاجز ينهض على عكازه متجهاً نحو المسجد لأداء صلواته.. فاعلم أن المسألة لم تتعلق يوماً بالعقول والشهادات.. إنما بالقلوب"..

قال جلَّ جلاله: {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} سورة الحج.

عندما كنَّا في سنِّ المراهقة.. وعلى مقاعد الدراسة.. حدثتني ذات مرة معلمة التربية الإسلامية في مدرستي على انفراد.. كانت رقيقة لطيفة المعشر.. ولا تزال جملتها عالقة في ذاكرتي حين همست لي بلطف بعد أن ساءها عدم التزامي بالصلاة.. "إنتي.. الله عاطيكي كل شي.. ليش ما بتصلِّي؟".. سؤالٌ بسيطٌ ومعقدٌ في آن معاً.. يعطيني كل شيء وأبخل أنا ببعض ما استطيعه.. وهل تأتي استطاعتي هذه أصلاً إلا من عطائه؟ يا له من نكران للنعم ذاك الذي كان يعتريني! لا أشعر بأدنى نقص ومع ذلك لا أؤدي أَولَى واجباتي تجاه فضل الله وتمام نِعَمِهِ عليَّ.. انتابتني يومها ومضات لحظية من تأنيب الضمير.. والشعور بالذنب.. سرعان ما ذابت في بوتقة الغفلة التي شطحت لسنوات لأعود لدوامة ابتعادي عن الالتزام حينها..

أما الآن وفي سنوات إقبالي هذه التي أعتبرها من أجمل نعم وعطايا الرحمن عليّ.. ومع تقلّص رصيد النعم الدنيوية التي كنت أمتلكها.. أشعر بالامتنان الشديد لربِّي..

يعطيني بالأمس كل شيء فأبخل.. ويحرمني اليوم من بعض هذا الكل - وله الحمد - فأتذكر ويغمرني الامتنان.. وكأنني الآن بدأتُ أَعي.. وليتني لم أتأخر في السمع والطاعة..

اللهم رُدَّنا إليك ردَّاً جميلاً.. اللهم اجعلنا ممن سمِعنا وأطعنا..

مِن وصَايا البداية

نعلم يقيناً أن سيدنا الرسول ﷺ لا ينطقُ عن الهوى.. وكل ما بلَّغنا به أكان آية من كتاب الله أو حديثاً قدسياً.. أو حديثاً نبوياً تلفظ به.. هو من وحي وترتيب الله الهادي ربّ العالمين..

وقد تتابعت وأثّرت في حياتي بعض الوصايا التي وفقني الله إلى معرفتها سواء من خلال الفضول والبحث الشخصي.. أو تناهت إلى سمعي في حلقة علم في أحد المساجد.. أو ساقتها الأقدار الجميلة أمامي على شاشة التلفاز أو الموبايل فتفكَّرت بها.. وأعانتني في البداية وكانت بصماتها واضحة في ثباتي وتقويم وتمهيد طريقي الجديد بإذن الله..

انتقِ خليلك:

ولا تفرِّط بوقتك في صحبة سوء أو غفلة.. إذا أردت أن تسلك طريقاً اخترته وتستمر مُطمئناً بسعادة فلا بد من إعادة الحسابات.. وإعادة هيكلة محيطك.. لا بد من صحبة وأخلاء يوافقونك ويؤنسون رحلتك على نفس النهج.. فانتقِ خليلك.. هذه النصيحة القصيرة لبنة أساسية في هيكل أي مشروع تُقبلُ عليه في حياتك وتريده أن يستمر ويكون ناجحاً.. قال رسول الله ﷺ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل).. وقال في الصحبة: (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير)..

الأصدقاء عنصر داعم أساسي لتحقيق أهدافك القادمة.. فانظر أيهم يعزِّزُ سيرك تجاه هذا الهدف.. وتمسَّكْ به.. ولا تتردد في إقصاء من يسلب عزيمتك ويسرق وقتك الثمين في نشاطات لهو وعبث ويشتت بوصلتك عن هدفك.. فقد مضى عهد النوم..

يقول ديك روبنسون في كتابه "لا تكن لطيفاً أكثر من اللازم":

"فكِّر في الأشخاص المهمين الذين تقدرهم.. ارسم صورة ذهنية لنفسك في مكانهم.. وقل "لا" بأدب في مقابل طلب معين لشغل أوقاتهم.. تخيل موقفاً مشابهاً سرعان ما تجد نفسك فيه.. استمع لنفسك وأنت تقول "لا".. أدر المشهد مرات عديدة في مخيلتك قل: "لا.. لا.. لا!".. واستمتع بعظمة الشعور الذي يجلبه قولك هذا.. اترك انطباعاً قوياً في نفسك أيضاً عن طريق امتناعك عن قول "نعم" والتي قد تندم عليها فيما بعد. جرِّب هذه التخيلات لمدة أسبوع.. أو تصور.. على سبيل التغيير عدة مواقف تتصل بخبرتك الشخصية وتخيّل نفسك وأنت تقول "لا" في كل موقف فيها.. وعندئذ استمتع بالبهجة التي تجلبها لك زيادة تقديرك لذاتك..

عندما يطلب منك أحد أن تقوم بعمل يجعلك تشعر بأقل درجة من عدم الراحة أو يجعلك تتردد أدنى تردد.. فلتقل: متأسف لأني سأرفض ذلك.. تعامل مع كل موقف اجتماعي بإدراك أنك غير مضطر لقول نعم أمام كل مطلب.. قل "لا" لأنك بالفعل لديك من المشاغل ما يكفيك.. قل "لا" لكي تؤسس نمطاً لعاداتك أكثر صحية.. حيث أن مرة واحدة من الرفض الصارم ستساعدك في أن تبدأ في كسر عادتك القديمة في قول "نعم".. وأنت من قبل كنت تتحمل أكثر مما تطيق وليس لديك الكثير لتستمتع به.

أنت الآن تدرك أنك تمتلك الكثير لتقدمه وأنك تؤدي الكثير من المهام بشكل جيد وأنت أيضاً تلتزم بعدم تحميل نفسك ما لا تطيق وستستعين بأسرتك وأصدقائك في تنفيذ عزمك.. وأنت ستحدد اتجاهات طويلة المدى لحياتك"..

لن تستطيع البدء والمضي قدماً والاستمرار والثبات ما لم "تُفلتر" معارفك وتتوقف عن المجاملات وتودع أصحاب الغفلة.. حدّد أولوياتك بما يرضي الله.. واحتفظ بمن يعينك على الوصول إليها لتتجنب الانتكاسات.. لا وجود لمُمولي المشاريع التافهة في أجندتك بعد الآن.. لا فجوات تستنزف أفكارك ونشاطك..

لا تساوم على وقتك.. كن لطيفاً.. لكن.. "لا تكن لطيفاً أكثرَ من اللازم"..

لا تُصرّ على صغيرة:

يُشير كثير من علماء الدين إلى أن الإصرار على صغيرة كبيرة.. فالواجب على المسلم أن يتحرَّز من الذنوب صغيرها وكبيرها..

قد تظل في قلوبنا مع بداية الهداية رواسب التعلّق بمعصية اعتدناها ونرى أنه لا بأس ببقائها في الوقت الحالي.. ونُمني أنفسنا بوعود التخلص منها قريباً على أنها ليست من الكبائر فنقلل من شأنها لتأجيل ترحيلها من القلب مع غيرها من أنقاض المعاصي الكبيرة!

راقب نفسك ولا تجمّل المعصية للتخفيف من وطأتها.. كن صادقاً مع نفسك ولو عليها.. {بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره} سورة القيامة. أي هو شهيد على نفسه.. عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر..

وحتى إن لجأ الإنسان إلى تخدير ضميره موضعياً في مكان تلك المعصية التي زيَّنها له الشيطان.. فإنه يوقن أن الله قريب عليم لا يخفى عليه هذا الالتفاف وعاجلاً أم آجلاً عليه أن ينصاع إلى أمر ربه.. والمسألة مسألة وقت إن صدقت.. فكن من السابقين المقرَّبين..

هناك من لا يواجه ضعفه تجاه المعاصي وجهاً لوجه.. بل يتحايل على المعصية! فلا يعلن درأها بالمطلق كي لا يزداد إلحاحها عليه من باب أن كل ممنوع مرغوب.. فتراه يؤجل الوقوع بها وفي نفس الوقت يُمني النفس بقرب ممارستها.. فيمضي الوقت بين مدافعتها والوقوع بها.. ليؤخر انجراره إليها.. لعلَّ الله يصرفها عنه.. فتخبو شدة الرغبة بها مع الوقت..

وهناك من يقوى على استئصالها من جذورها بكثرة الذكر والاستعاذة بالله منها ومن كل شيطان رجيم.. والانشغال المتعمد بنشاطات أخرى تُلهيه عنها..

{يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تُحشَرون} سورة الأنفال..

فلتكن بصيرتك صافية واعترف بضرورة التخلي عما ألِفه قلبك في نسختك القديمة.. وأَخرج كل شائبة منه.. واستعن بالله..

سدّد وقارب:

في بداية رحلة العودة والإنابة إلى الله يكون حماسنا في أوجِه.. طاقتنا عالية وشحننا 100 %.. وإقبالنا شديد.. كمن كان في ظمأ فوجد الماء.. فتتزاحم خطط العبادة في برنامجنا اليومي.. طاعات وعبادات وأعمال صالحة.. وهو أمر غاية في الروعة.. ولنا أجره وثوابه العظيم إن شاء الله.. غير أن العبرة في الثبات والديمومة.. وأحبُّ العمل إلى الله أدوَمه وإن قلّ.. وقليل دائم خير من كثير منقطع..

قد تخبو هذه الطاقات بعد حين فلا نقوى على متابعة نوافلنا بذات الزخم بسبب التكلُّف وأحياناً التَنطُّع.. يقول رسولنا الكريم ﷺ: (فسدِّدوا وقاربوا) أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط.. وقاربوا: أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه..

ما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترَكُ جُلّه.. قال تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} سورة التغابن. والفائز منا من تمكن من رفع استطاعته والمحافظة على ديمومتها بعون الله.. والله أعلم..

حدثتنا إحدى معلمات المسجد ذات يوم عن "اللياقة الدينية"..

نعم هناك ما يسمى باللياقة الدينية أيضاً.. لنكن واقعيين.. فكما أنك لا تستطيع أن ترفع عدد مرات تمرينك الرياضي من عشر مرات إلى مئة مرة بين ليلة وضحاها.. لن تستطيع أن تقف على سجادة الصلاة لمئة ركعة بدون إنهاك وأنت من اعتاد أن يصلي حتى الأمس القريب

سبعَ عشرة ركعة فقط.. يقول ﷺ: (إنَّ هذا الدين متين فأَوغِلوا فيه برفق)..

كما نحتاج للياقة بدنية تتطلب زمناً من التمهيد والتدريب.. قد نحتاج أيضاً فترة من الزمن نرفع فيها لياقتنا في العبادة.. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.. وكُلٌّ أدرى بمقدرته واستطاعته..

عليك بالصيانة الدورية:

فالإيمان يَخلَق - إي يَبلى - ويتجدَّد بصحبة الصالحين وأهل الخير.. احرص على أن يكون لك مجلس علم أو جلسات عبادة وذكر مع الآخرين.. أو خلوة يومية بمفردك ولو لنصف ساعة تكون فيها مع نفسك فقط.. تراجِعُ فيها حسابات اليوم وتضع يدك على مواطن التقصير أولاً بأول فيسهل تلافيها..

التنظيف الدوري للقلب يساعد على تهيئته لاستقبال كل ما هو نقي موافق للفطرة السليمة.. وترك التنظيف يطيل أمد الغفلة فيقسى القلب وتنحرف بوصلة الأهواء.. كمن أهمل علاج أسنانه وتجاهل إنذارات التسوُّس حتى طالَ نخرُها العصب.. فغدا علاجها أكثر كلفةً وإيلاماً.. واحتمال خسارة أسنانه أكبر.. في حين لو تفقدها دورياً بين الحين والآخر لكان بالإمكان تطويق التسوّس في بدايته لتحجيمه وكبح جماحه بسهولة..

الزَم الذِكْر والشكر:

الذِكْر.. وَصفةُ اطمئنان القلوب.. يدرك أهميته من ذاق حلاوة المواظبة عليه بتفكُّرٍ وحضورٍ للقلبِ مع اللسان.. فيقتني بأوراد ذكره اليومية مفتاح الحياة الطيبة ويتجنب ضنك وعسر المعيشة.. قال تعالى: {ومن أعرَضَ عن ذِكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى} سورة طه.

فلا تكن من المُعرضين واحرص على ذكر الله.. خاصة في أوقاتك التي تعتقد أنها ميتة.. طوابير انتظار.. عمل يدوي.. أعباء منزلية روتينية مُطوَّلة.. أرقُ ما قبل النوم.. لا تترك لسانك جافاً مُعطلاً وهو قادر على حصد الجوائز على عدد الثواني.. عطِّرهُ بالذِكْر الذي أفضله **لا إله إلا الله**.. تلك العبارة التي عليها نحيا وعليها نموت.. ولعلك تنبهت إلى كونها تسهل على كل لسان.. صيغت بحروف تجعلها أسهل من أي عبارة أخرى من حيث النطق ومخارج الحروف.. فيستطيع اللسان بأي حال كان أن ينطقها.. وبأقل الحركات الممكنة.. جرب نطقها الآن ولاحظ كيف أنك بالكاد تحرك لسانك..

تحضُرني هنا حِسبةٌ رائعة لعقلية من يقتنصون الحسنات ويعمل دماغهم بشكل مستمر على البحث عن منابعها للاستزادة منها.. ويعتبرون أن صفقتهم خاسرة إن لم تكن الثانية من وقتهم تساوي حسنة أو أكثر..

إذا كان في كل "سبحان الله وبحمده" غرس نخلة في الجنة.. فكم غرسة سنحصد في خمس دقائق ونحن نذكُر ونُعِدُّ كوباً من الشاي مثلاً بدل أن ندندن بأغنية ما.. وماذا لو أخرجنا من محفظتنا سبحة إلكترونية بدل جهاز الموبايل الذي لا يغادر كفنا ونحن في وسائل النقل العامة! فلنعوِّد لساننا على الذكر بدل اللغو واللهو والسهو.. وستكون حتماً تجارة رابحة.. وبضاعة وسعادةً أبقى وأصلح..

ربما نظرتُ بعين الغيرة لمكاسب المشاهير من أثرياء العالم كـ بيل غيتس.. وجيف بيزوس مثلاً.. وتوسعت حدقتا عيني لدى استطلاع قائمة فوربس لأغنياء العالم وهي تسرد أرقاماً فلكية عن أرباحهم وثرواتهم ودخلهم.. وكم أذهلتني إحصائيات موقع "بيزنيس إنسايدر" حول مكاسب أحدهم السنوية التي بلغت 78.5 مليار دولار.. مما يعني قرابة الـ 2500 دولار في الثانية..

أي أن هذا الرجل إذا سقطت منه 100 دولار على الأرض وهو يمشي.. لن يضيع وقته وينحني لالتقاطها واستعادتها لأن الوقت الذي قد يهدره في هذه الانحناءة يمكن أن يجني به أضعاف هذه المئة..

كانت الأمور تقاس في ذهني على هذا النحو قبل أن أتعرف إلى نعمة وثروة الذكر.. نعم.. هناك ثروة أكثر غنىً.. باقية صالحة.. لا نخشى عليها من أن تتبدَّد.. أو أن تخسر أسهمها في البورصة..

ثروة الذكر التي نتملك بها غراسنا في الجنة..

لا أقول هذا لأواسي فقر حالنا المادي مثلاً.. أو لأكرِّس نهج عدم السعي والعمل للرزق الدنيوي.. أو ليكون مُسَكِّناً لآلام صداع خيباتنا الاقتصادية.. لكنني فعلاً بتُّ أرى في الذكر ما هو أسمى وأغنى من كل مكاسب الدنيا المالية.. مع كونه يحقق البركة في الدنيا قبل الآخرة.. لكن عيني باتت الآن على رصيدي الذي أدخره في الجنة إن شاء الله..

على بستان النخيل الذي يكبر في كل ثانية من وقتي مع كل "سبحان الله وبحمده".. في ثانيتي أغرس نخلة في الجنة.. بل وأستطيع أن أغرسها حتى وأنا أنحني لالتقاط المئة دولار في حال حدث وسقطت مني ذات يوم!

الذِكر مفتاح خير الدنيا والآخرة.. فلا تحرم نفسك من هذا الخير..

أما الشكر..

فهو نَسْبُ النعمة إلى الخالق واستخدامها فيما يرضيه.. وهو أمرٌ غايةٌ في الأهمية ويحتاج وقفة مصارحة مع الذات.. لأن معظم العباد يقرُّ بأن النعمة من الله عز وجل ولا خِلاف على ذلك.. لكنه يغفل عن الشقِّ الثاني من تعريف الشكر وهو استخدامها في "ما يرضي الله".. بل وقد يستخدم بعضنا هذه النعم في ما لا يرضيه.. والعياذ بالله..

تبادر إلى ذهني مرة وأنا أفكر بالآية الكريمة {قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون} سورة الملك. أن كل نعمة مما ذكر تستحق عمراً من الشكر.. تخيّل فقط أن يحرمك الله نعمة البصر – لا قدَّر الله – ويقال لك أنك ستستردها إن بذلت ما تبقى من عمرك شاكراً فحسب.. مؤكد أنك لن تتردد بالتلبية.. بل وستكون مُمتناً..

هكذا هو الحال.. منحنا الله نعماً لا نستطيع حصرها.. وصرفَ عنا مصائب كثيرة.. وبدا الأمر حقاً مكتسباً لا نتذكر حتى أن نشكره عليه.. فعلاً.. قليلاً ما تشكرون.. نسبة إلى الكثير الذي أكرَمَنا به الكريم.. وهذا هو البخل بعينه.. ألا تستحق نعمة البصر وحدها عمراً من الشكر؟ وقِس على ما سواها.. {وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها} سورة النحل.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه.. فقلت له: لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكونُ عبداً شكوراً!)..

فلنكن من الحامدين الشاكرين.. مع العلم أن الحمد أعمُّ من الشكر حيث يكون على النعم وغيرها.. ولننأى بأنفسنا عمَّن أشارت إليهم الآية الكريمة: {ولكن أكثر الناس لا يشكرون} سورة غافر.

وفي جمع الذكر والشكر معاً.. قال تعالى: {فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرونِ} سورة البقرة.

أفلا نذكرُ ونشكرُ ما حَبينا؟

رأسُ الحكمةِ مَخافة الله:

ومن منَّا لا يسعد بامتلاك الحكمة.. وفعل المناسب.. في الوقت المناسب.. بالطريقة المناسبة.. الحكيم إذاً هو أشدُّنا مخافةً من الله عزَّ وجلّ.. هو من سارعَ في قول "لبيك اللهم لبيك" ولم يُطِل أمدَ غفلته..

هذا هو معيار من اجتاز بحكمته امتحان الدنيا.. وخرجَ منها رابحاً مُعافاً من كل شرّ..

قال تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً} سورة البقرة.

ومن درر الوصايا النفيسة أيضاً:

"فلتعبد الله بقدر حاجتك إليه.. ولتعصِه بقدر صبرك على النار.. ولتعمل للدنيا بقدر عمرك فيها.. ولتعمل للآخرة بقدر بقائكَ فيها"..

حَذارِ من الهجمات المُرتَدَّة

فمع كلِّ خطوةٍ للتقرُّبِ من الله هناك قاطعُ طريقٍ يعمل جاهداً على تثبيط همتك..

إنه الشيطان!

لا تتوقع منه أن يقفَ مُتفرجاً مكتوفَ الأيدي وهو يشهدُ انهيار بورصة أسهمه في قلبك هكذا بهذه البساطة.. سيكون هناك هجمات مرتدَّة انتقامية يحاول فيها إعاقتك عن الوصول.. بعد أن كنت فيما مضى لقمةً سائغةً لِوَسْوَساته ولم تستحقَ عناء هجماته.. كنت غافلاً مُنساقاً بعلمٍ أو بدون علم بقصدٍ أو بدون قصد لما يُثلج صدر الشيطان.. أما الآن وأنت في صحوتك ونهضتك ترفع عن نفسك أنقاض وَساوسه ورُكامها.. وتهمُّ مُلتمساً طريق الهداية.. فلن يكون الأمر بهذه السهولة.. أليس جهاد النفس هو الجهاد الأكبر؟

قد تحدث انتكاسةً ما.. فتأتيك وساوس الشيطان بوجوه عدة.. يتملكك الضيق قليلاً.. أو يتلبَّسك وسواسٌ قهري كمن يُبتلى بوسواس الطهارة والنجاسة مثلاً أو وساوس أفكار الكفر والعياذ بالله.. وهو أمر وارد جداً بعد أن قطعت على الشيطان سُبل الدخول من باب المعاصي المعتادة لأنك أصبحت تقوى على مُجاهدتها الآن.. أوصدتَ باب المعاصي أمامه فأتاك من باب الطاعات.. يوسوس لك في أمور تتعلق بصحة عبادتك التي أنت الآن أشدّ حرصاً وخوفاً عليها.. فتأتيك وساوس في صحة الوضوء أو صحة الصلاة.. فاستعذ بالله.. ولا تجزع مما اعتراك من وساوس..

قد يتملكك اليأس من حلّ مشكلةٍ ما لطالما أرَّقتك.. لكن مع يقينك بأن الله معك ما دمت مخلصاً بنيّتك سيأتيك الفرج ولا شك.. غير أن

الأمر يتطلب الصبر والدعاء.. {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} سورة البقرة..

أليست أحلك اللحظات ظلاماً تلك التي تسبقُ الفجر؟

هي سُنّة من سنن القرآن الكريم: {فإنَّ مع العُسر يُسراً * إنَّ مع العُسر يُسراً} سورة الشرح. كرَّرها لنا ربُّ العالمين لتوكيدها.. وقد ورد في أحد التفاسير أن كلمة العسر جاءت معرفة بأل التعريف لخصخصته وحصره بعسر واحد.. في حين ورد اليسر في المرتين بلا تعريف ليبقى مُتعدداً.. هذا العسر المُعرّف القليل الذي قد نتعثر به يصاحبه يسرٌ وخيرٌ أكبر يفوقه ويغلبه إن شاء الله.. وقد بشَّرَنا بهذا سيدنا الرسول ﷺ حين قال: (لن يغلب عسر يسرين).. فلا تفقد ثقتك بعون الله وكرمه وإحسانه.. لكن الأمر مرهون بزمن محدد أمرنا أن نتحمله بالصبر والصلاة والدعاء الذي هو مخُّ العبادة..

لا تستسلم بسرعة وسيستسلم هو بإذن الله.. وكأنها لعبة عضِّ الأصابع مع الشيطان.. الأمر عادةً يتطلب بعض الوقت مع الصبر والجهاد.. وهل يشحذ الهممَ ويعزِّز الأمل بالفوز والنجاة أكثر من قوله تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهُم سبلنا} سورة العنكبوت.

لَـ .. نهدينَّهم.. سيجدُ اللهُ لكَ وسيلة الثبات التي تناسبك.. وإنَّ وعْدَ الله حق ولا شك.. لكنك ستجاهد في الأمر أيضاً.. والله أعلم..

كثيراً ما وجدتُ الطمأنينة والسكينة في قوله تعالى: {وما كان اللهُ لِيُضيعَ إيمانكم إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيم} سورة البقرة. بعد لحظات إحباط وغمٍّ انتابتني مراراً.. كم هي كريمة هذه الآية.. فيها سخاءٌ عاطفي روحي ينفض غبار القنوط واليأس عن قلبك المُنهك ويخبرك بأن الله لن يبخسك نصيبك من المدد والعون.. وستلقى انفراجاً قريباً وتثبيتاً على الإيمان طالما صدقت النيّة والعزم والله أعلم..

فالزَم الذِكْرَ وكن من أهله {ألا بذِكرِ الله تطمئن القلوب} سورة الرعد. وليكن لك مجموعة أذكار كَوِردٍ يوميٍّ يسكن به قلبك.. ويحصِّنك من هجمات إبليس فيخزيه.. ولا يكون له عليك من سلطان..

ستكون سيّد نفسك بحق عندما تكون عبداً لله بحق..

أيُّ عبوديةٍ تلك التي تكرِّسُ حرية النفس والسيادة الحق!

سبحان الله.. لن يحررك شيء.. مثل عبوديتك لله..

ثم لا تعتقد أنك بعد التوبة ستكون كاملاً مثالياً معصوماً عن اقتراف ذنب أو الوقوع في معصية.. قد يحدث هذا "لا سمح الله" ونحن بشر.. وهو لا يعني أنك فشلت في صلاحك وأنك لست أهلاً للرجوع إلى الله.. قد نخطئ لكننا سنتوب.. وإلا فما الفرق بين تائب وتوّاب.. والتواب هو الذي كلما أصاب ذنباً تاب.. وهو من يرجع إلى الله جلَّ جلاله عن الذنب في كل مرة.. {إن الله يحبُّ التوَّابين ويحبُّ المُتطهِّرين} سورة البقرة.

لكنَّ للمعصية ذكريات قد تعاود وَكْزَكَ والتحرُّش بهواك.. فتستعيد ذاكرتك ومخيلتك قسراً وبشكل لا إرادي بعضاً من صورها بين الحين والآخر.. الأمر الذي قد يفضي أحياناً إلى الوقوع بها مُجدَّداً ما لم تسارع في الاستعاذة بالله من الشيطان وإشغال نفسك مباشرة بنشاط آخر.. وقد ينفعك الاندساس بين الناس من معارفك أو أهل بيتك أو صحبك عندما تلحُّ عليك ذكريات المعاصي.. فهذا من شأنه أن يخفف من وطأة إلحاحها فيما لو كنت منفرد بنفسك.. ويسلِّط عليك رقيباً ممن حولك نصَّبْتَهُ أنت عن رضاً لتُجاهد هجمتها..

ولا عجب أن سيدنا محمد ﷺ كان يحسب حساباً لطرفة العين.. اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. {وقل ربّ أعوذ بكَ من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربّ أن يحضرونِ} سورة المؤمنون.

وعن تجربة.. فإن مواظبتك على قراءة سورة البقرة بالذات هو وصفة ناجعة لهكذا داء وابتلاء.. فإنها تطرد الشياطين وتبطل السحر بإذن الله.. وهي سبب للشفاء من العين خصوصاً الآيتين الأخيرتين منها.. ولعلك تفلح..

قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَة) – والبطلة هم السحرة - وقال أيضاً: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة).

هنا يتبدَّى لنا فضلُ التوبة المُبكرة التي تجنبنا تحميل المزيد من ملفات الزلل.. فالأجدى من محاربة البعوض هو تجفيف المستنقعات..

والتوبة المبكرة يسهل معها تجفيف المستنقعات.. فهي تجنِّبك تفاقم المعاصي كماً ونوعاً وتجفف منابعها فتقلص حجم ذكرياتها فيما بعد.. لأنك كلما تقدمت في العمر وأنت في جاهليتك وتهاونك مع المعصية.. كلما زاد ضخ أشكالها التي قد تصادفك فتستمرئها وتكررها حتى ترسخ في ذهنك ويصبح من الصعب محو صورها.. وطمس ذكرياتها في مخيلتك..

لا تُغذّي ذاكرتك بالحرام فيتجذَّر فيها.. ويتعذر التخلص من شوائبه لاحقاً.. وتلوث فطرتك وتدمغها إلى حدٍّ يستعصي التطهير.. أنت في غنىً عن سعادة لحظية مؤقتة زائفة سرعان ما ستتقيؤها لاحقاً.. وتدفع فاتورتها..

طوبى لمن باكروا في التوبة فحافظوا على فطرتهم سليمة أو على الأقل أقل اتساخاً بالمعاصي من غيرهم..

وعليه.. فهو أمر واردٌ وطبيعي أن نرتكب الأخطاء ونزلَّ في كبوة.. لكن الحكمة هي أن ننهض مُجدَّداً فلا نسمح لهذه الكبوة بتشويش مسيرتنا.. أو أن تزرع فينا الإحباط واليأس فتجعلنا نعتقد واهمين أننا لا ننفع في توبة ولا يليق بنا صلاح..

كنت مرة خارج المنزل تحت حرِّ الشمس الحارقة في أحد أيام الصيف.. شعرت بالظمأ الشديد.. وانهكتني حرارة الشمس يومها حتى كاد يغمى عليّ.. فجالت في ذهني أفكار عن اليوم الذي لا ظل فيه إلا ظل عرش الله..

إذا كنتُ وفي يومي هذا أبحث عن بقعة ظل أتفيأ بها تقيني عذاب هذا الحرّ الدنيوي البسيط الذي لا يطاق.. بل وأجد في هذه البقعة مكافأةً قيِّمة ونصراً عظيماً وملاذاً وحيداً.. فكيف هو الحال يوم القيامة؟

يوم لا تُقارن الشمسُ بالشمس ولا الحرُّ بالحرِّ ولا النارُ بالنار التي نعرف.

إذا كنا لا نقوى على تحمل حرِّ الدنيا فكيف لنا والعياذ بالله أن نفكر حتى بحرِّ يوم القيامة..

استحضرت حينها حديث سيدي الرسول ﷺ:

(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، **وشاب نشأ في عبادة الله**، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)..

- ويُقصد هنا عموم الجنسين من رجال ونساء.. لكن عادة تكون صيغة الخطاب عند التعميم بالتذكير - والله أعلم..

فكرت بهذا العرض المُغري.. وكيف لي أن أجد سبيلاً من هذه السبل السبعة أستطيعه فأظفر بالظل العظيم يومها..

وأحزنني أنه وبسبب تأخر توبتي فاتتني – لا سمح الله – فرصة "شاب نشأ في عبادة الله".. كنتُ على قدر من التديّن نعم.. لكن لا أعلم إن كان التزامي وطاعتي في شبابي الفائت كافياً لأُصنَّف ممن هم "نشأ في عبادة الله"!

لا تندم على التزامك المبكر.. لا تتحسر على فوات أصناف من المعاصي تجنبتها كيلا تعكر صفو تصنيفك وعبادتك لله.. وأنت شاب وأنت قادر على خوض غمار المعاصي وإغواءاتها.. لكنك أحجمت وجاهدت نفسك لتحافظ على هذا التصنيف العظيم الراقي "شاب نشأ في عبادة الله"..

بعد قلقي حيال استيفائي هذا البند بالذات.. فكرت أنه ربما أحاول أن أجد لي منفذاً مع "قلبه معلق بالمساجد".. أو "رجلان تحابا في الله".. فأجد أختاً بالله نجتمع ونتفرق على طاعته وعلى ما يرضيه.. أو غير ذلك مما قد يوفقني الله إليه.. المهم أن أحجز لي مكاناً تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة.. فأكون من السعداء به..

يوم لاااا ظلَّ إلا "ظله"..

الحكيم فينا.. من التمس لنفسه سبيلاً من هذه السبل السبعة ليحظى بنعمة هذا الظل وبركته.. مَن بحث عن طريقة تجعله من الفائزين به.. وباكرَ بالتوبة لكيلا يُسقط عنه العمر لاحقاً استحقاق فرصة "شاب نشأ في عبادة الله"...

غاية القصد.. أن يرزقنا الله السلامة والأمان يوم القيامة ويمنَّ علينا بالفردوس الأعلى بغير حسابٍ أو سابقة عذاب.. فلا أغلى ولا أجمل من أن نكون في عِداد من رضيَ عنهم وأكرَمَهُم {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} سورة الإنسان.

نسأل الله تلك الوقاية والنضرة والسرور...

نسأل الله السلامة.. والثبات.. وحسن الخاتمة..

أختتمُ هذا الكتاب بقصيدة نسجتُ كلماتها بكل الحبِّ لسّيِّدي الرسول صلى الله عليه وسلم.. هي ومضات على مراحل من سيرته العطرة.. وأدرجتُها في الختام.. كي أترك خيار قراءتها لمن يستهويهم الشعر فقط..

نَفَحَاتُ طِيْب

هَمَمْتُ أُلَمْلِمُ طِيْبَ الكَلامْ
أَيُجْدي تَطَيُّبُ أُمِّ السِيَر؟
رَسُولٌ كَريمٌ وَخَيرُ الأَنَام
فَأَنَّى لِشِعْري عَظيم الأَثَرْ؟
وَلا يَعلو فوقَ السَحَابِ الحَمَام
وَإِنْ كانَ يأتي بِأَغلى خَبَرْ
حَبيبي مُحمَّد وَحُمِّدَ ذِكْرُه
فَهلْ يَكْتَفي القَلبُ مَا إِنْ ذَكَرْ؟
عَلَيهِ الصَلاةُ عَلَيهِ السَلامُ
تَذوبُ لِعَبْدٍ إذا مَا انحَشَرْ
يَتيماً خُلِقْتَ لِقَلبٍ كَسير
وَرُبَّ يَتيمٍ رَعَاهُ القَدَرْ
وَآمِنَةٌ .. أمُّ هذا الوليد
وَمَا مِن حَليبٍ وما مِن مَطَرْ
نِساءُ هَوازِنَ حَطَّتْ رِحَالا
وَشَاحَتْ بعَينَيها عَنهُ النَظَرْ
سِوَاها حَليمَة .. فكانَتْ رَحيمَة
وَطُوبى لِحُبٍّ غَزا وازدَهَرْ

نَسائِمُ خَيرٍ بِهذا الرَضيع

غَنِمْتِ حَليمَة .. عَلامَ الحَذَرْ؟

وَشَبَّ الرَضيعُ فَصَارَ الشَفيع

أَيَا سَعْدَ سَعديَّة المُنتَظَرْ!

غَنِمْتِ حَليمَة وَنِعْمَ الغَنيمة

وَمَسَّتْ يَداكِ حَبيبَ البَشَرْ

لَإن أَبْصَرْتُ مِنهُ طِيبَ المُحيّا

كَفَاني بِها .. وَلأَعوفَ البَصَرْ

وَإنِّي لأَحسدُ شَاتاً رَعَاها

وَفي الغَارِ أحسدُ حتى الحَجَرْ

وَإذْ يَستَفيءُ بِظِلٍّ ظَليلٍ

هَنيئاً لَهُ مِنهُ ذَاكَ الشَجَرْ

سَليلُ ابنِ هَاشِم وَصِهْرُ خُوَيْلد

فَكيفَ عَسَاهُ يَكونُ الثَمَرْ؟

وَبَيتُ النُبوَّةِ بَيتٌ مُوَحِّد

بِأَمْرِ العَظيمِ اهتدى وَائتَمَرْ

بِهِ يَطمَئِنُّ فُؤادُ الرَسُولِ

إذا الوَحْيُ رَاعَهُ وَقْتَ السَحَرْ

***

قُريشٌ تَكيدُ لِدِينِ الأَمين

فمَا لانَ عَزْمٌ لَهُ أو فَتَرْ

وَيثْرِبُ للبَدْرِ حِصْنٌ حَصِينٌ

بِأَمْرٍ مُطاعٍ مُجَابٍ حَضَرْ
عَزَمْتَ مُحمَّد وَبَلَّغْتَ أمَّة
وَنُورُ الهِدايةِ طَالَ الحَضَرْ
وَطَوعُ بَنانِكَ جَيشٌ بِهِمَّة
وَبينَ الأُسودِ تَضيعُ الهِرَرْ
فَرَجْعٌ لِمَكّة وَفَتْحٌ مُبارَك
وَعَوْدٌ عَزيزٌ وَقَلبٌ غَفَرْ
وَقَومُ الكَريمِ كِرامٌ لأجلِه
وَلا يُرمَى بالقَوسِ دونَ الوَتَرْ

***

حَبيبي مُحمَّد وَفي الحَلْقِ غُصَّة
وَدَمْعُ الرِجَالِ العَصِيِّ انهَمَرْ
فَمَا بعد مَكّة وَداعٌ بحِجَّة
وَقلبٌ غَزاهُ الجَوَى فانفَطَرْ
تُريدونَ مِسْكَ الخِتَامِ لِسِيرَة؟
خِتَامٌ لِمِسْكٍ إذا مَا احتَضَرْ
خِتَامٌ لِمِسْكٍ .. وَدَاعُ مُحَمَّد
عَليهِ الصَلاةُ وَفيها الظَفَرْ
وَمَهْما تَطُولُ فَهَذي الحَياة
مَعينٌ وَزَادٌ لِعَبْدٍ صَبَرْ
إذا العَبْدُ يَوماً أَرادَ النَجَاة
فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَبينَ العِبَرْ

شُكر

شُكراً لكلِّ من كان له سهمٌ في ترتيب أفكار هذه الصفحات.. كل من أخذ بيدي.. تأثرتُ به، قرأتُ له، أو أخذتُ عنه..

وأخصُّ بالذكر د. محمد سعيد رمضان البوطي - رحمه الله - ومُعلماتي في مساجد حلب.. ومُعلمات المعهد التخصصي للحديث النبوي الشريف وعلومه – النورية – في دمشق.. ورأس صُحبتي الصالحة.. صديقتي فاطمة قطّان ..

جزاهم الله كل خير.. وجعلها في ميزان حسناتي وحسناتهم.. ونفع بها العباد..

اللهم نسألك الثبات.. اللهم ارضَ عنا وبشِّرنا برضاك.. ربنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هَدَيْتَنا وَهَبْ لنا من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهَّاب.

والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدنا محمَّد رسول الله

والحمدُ والشكر لله ربّ العالمين